٢٤١

HARLEQUIN

روايات احلام

# البحيرة السوداء

شارلوت لامب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

# البحيرة السوداء

موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

قناة روايات عبير على تيليجرام

https://t.me/aabiirr

# للكاتبة المميزة

# شارلوت لامب

# روايات احلام رقم 241

# الملخص

"كنت اللعبة التي تسليت بها، أليس كذلك ؟لقد تجاهلت كل احتجاجاتي. واستغليتني بإحدى ألاعبيبك الصبيانية، ولكن يمكن لشخصين أن يشتركا في اللعبة...والآن حان دورك لتكون لعبتي! "

دنزل بلاك مصاص دماء عاشق ينتقل من امرأة هددها اليأس الى أخرى أسيرة الحزن...وهو الان يتربص بأخت كلير، أم تراه يسعى الى كلير نفسها؟ ولكن كلير صممت هذه المرة على أن الاوان قد حان ليدرك هذا الرجل شعور من يقع ضحية للحب.

# الفصل الاول

## 1- غريب في البحيرة السوداء

التقت كلير دنزل بلاك في اليوم الاول الذي وصل فيه الى البلده كان الفصل خريفا والاوراق على الاشجار قد اتخذت لونا زيتيا تارة وقرمزيا او خمريا تارة اخرى فيما السماء انصبغت بلون ارجواني عميق مائل الى الزرقة والجو انذر بعاصفة توشك ان تهب من الغرب.

كانت الرياح تؤرجح نافذة الوكالة فتصدر جلبة عظيمة بينما لاتومض الا لتخبو مجددا تهجم وجه كلير وغمر القلق عينيها الزرقاوين وراحت ترجو الاينقطع التيار الكهربائي فجأة كعادته في مثل هذا الجو العاضف على أي حال من الافضل ان تعود الى منزلها لاسيما وان موعد الاقفال قد حان نهضت عن مكتبها

وشرعت ترتدي معطفها وهي تبعد خصصلات شعرها الشقراء عن رقبتها.

وفجأه انفتح باب المحل تاركا للريح حرية ان تتوغل في المكنب ففكرت كلير للحظة قبل ان ان تقول معتذرة بتهذيب :"انا اسفة ولكن الوكالة اقفلت ابوابها منذ برهة .الا تستطيع العودة غدا؟".

ولما كانت قد اطفأت الانوار الرئيسية لم تستطيع ان تتبين جيدا الرجل الواقف في المدخل. لكن، وفي الظلام الخفيف الذي سيطر على المكان ، لاحظت انه طويل القامة اسود الشعر ،ويرتدي معطفا طويلا قاتما تتلاعب الريح بأطرافه وسمعته يقول بصوت عميق:

– قرأت لوحة الاعلانات خارج المنزل الذي يقع في اعلى "هانتز هيل"...

اعني ذلك البيت الواسع الفيكتوري الطراز الذي يتفرع عن الطريق.فهل مازال معروضا للبيع؟

تمتمت كلير ببطء ،وهي تحاول ان تبين ملامحه في الظلال :" البحيرة السوداء"

لكنها لم تر الا وميض عينيه اللتين واظبتا على التحديق فيها.

وسرعان ماأجابت ،وهي تخنق قشعريرة غريبة سرت في جسمها :"نعمم ،مازال للبيع"

ولم تجد سببا لهذا البرد الذي اجتاحها الا الريح

.وعادت وركزت تفكيرها على المنزل القديم الواقع عند طرف البلدة .لقد مضى زمن طويل على عرضه للبيع ولم يلق مشتريا بعد ، ولعل ذثلك يعود الى ضخامته التي لا تناسب أي عائلة عادية. يمكن ان يحوله احد المهتمين الى فندق صغير أو مستوصف

،ولكن حالته من السوء مايستوجب اصلاحات مهمه
،قبل ان يصبح جاهزا للسكن .وها قد مرت سنتان
ومازال اسم البيت مدونا في سجلات الوكالة ولاشك
ان والدها سيسر اشد السرور حين يعلم انها
استطاعت اخيرا ان تبيعه أو حتى أن تؤجره.
ومالبث الغريب ان سألها:"أتستطعين أن تأخذيني في
جولة في المكان؟"
–نعم، بالطبع، ما رأيك في صباح الغد ؟ فلنقل في
الساعه الحادية عشرة ..
ثم اخرجت من درج مكتبها مذكرة وقلما بلا مبالاة,
أخفت بها حماسها الشديد لإنجاز هذه الصفقه .ولم
يكن ذلك بعسير على شقراء باردة مثلها ، لاسيما
وأن عينيها تسبحان في بحر ازرق شاحب شديد
الفتور.

لكن الرجل المتشح بالسواد اجابها :"سأكون مشغولا طيلة نهار الغد فما رأيك أن تذهب الان؟"

وإذا بناقوس الخطر يقرع في عقل كلير ، فما كان منها الا أن ردت بأدب يفتقر الى الود :"أنا اسفة ،هذا ليس ممكناً"

فلطالما ردد والدها على مسامعها ان مرافقة ركل غريب الى منزل فارغ محفوف بالمخاطر .ولهذا حرص دائما على إرسشال شخص معها في هذه المناسبات ومنذ تقاعد صار اخوها روبن يرافقها.

وروبن تلميذ في التاسعة عشرة من عمره يتابع دروسا في ادارة الاعمال في ا لمعهد التقني المحلي لكنه ضخم الجثة قوي العضلات فهو يمارس رياضة الركبي في المعهد ولطالما شعرت معه كلير بالامان

– ماذا تعنين انه ليس ممكنا؟

كان سؤاله مقتضبا على نحو فظ جمد أوصالها ولكنها ردت :"يبدأ العمل هنا من التاسعه وحتى الخامسة والنصف ياسيد.."

فقال بذلك الصوت العميق والغامض:"بلاك.. دنزل بلاك..هل المدير موجود؟"

– انا المديرة.

ولما شعرت بانه لايصدقها اضافت:"وهذه وكالتي"

– لكن اللوحة على الباب تقول ان جورج سامر يدير هذه الوكالة.

– هو والدي لكنه تقاعد الان تاركا لي ادارة الوكالة

– فهمت

واحست به يحدق فيها فيما عيناه تتألقان في هذا الظلام الباهت

– حسنا يا آنسة سامر ..ان انك متزوجة؟

ترددت لبرهة وشعرت أنها لاتريد ان تفصح له عن اسمها بطريقة العناد غير مألوفة لديها ولا منطقية لكن شيئا ما فيه بدأ يزعجها ورغبت فجأة بالتخلص منه باسرع مايمكن فأجابت باختصار :"أنا كلير سامر:

– اذا لست متزوجة؟

فهتفت بنبرة تكاد تكون حادة :"لا !اسمع انا اسفة ياسيد بلاك. ولكن لا وقت لدي حقا لاريك البيت الليلة"

فبادل حدتها بحدة اشد:" انسه سامر ،إما انك تريدين بيع" البحيرة السوداء" وإما لا.ففي الغد سأسافر الى الخارج لاشهر عدة ،ولهذا لا أستطيع ان ارى المنزل إلا الليلة .فاختاري إما ان تصحبيني اليه حالا واما انسي المسألة برمتها"

ترددت وهي تعض على شفتها السفلى .لاشك ان اباها وأخاها غير موجودين في المنزل الان، فقد ذهبا لمشاهدة مباراة في الركبي في البلدة المجاورة ولن يعودا قبل ساعتين .صحيح ان بامكانها ان تطلب من لوسي

ان تلاقيها في "البحيرة السوداء" فلا بد انها عادت من عملها في هذا الوقت ،فهي تعلم في المدرسة الابتدائية المحلية وتعود الى المنزل عند الخامسة مساءً.

ومالبث دنزل بلاك ان اعلن وقد عيل صبره :

"هيا قرري فمحاميتي هيلين شيرارد تنتظر في السيارة وأظن انك تعرفينها "

.لقد أردتها ان ترى المنزل ايضا لكن لا انوي ان اجعلها تنتظرني مدة اطول "

وهنا اطلقت كلير تنهيدة حفيفة عبرت عن ارتياحها :

" هيلين! نعم اعرفها طبعا حسنا سيد بلاك

سأصطحبك الى "البحيرة السوداء"

الان لكن لدي موعدا اخر عند السابعه ولا استطيع

ان اتاخر اكثر لذا سنقوم بجولة سريعه"

ثم التفتت الى خزانه الملفات وراحت أناملها تبحث

عن ملف " البحيرة السوداء " وما ان وجدته حتى

اخرجت مجموعه من المفاتيح من صندوق مقفل مثبت

في الجدار وأقفلت الخزانه والصندوق مجددا . وقبل ان

تغادر المكان اختلست النظر الى المرآه التي تزين

الحائط

فيما زررت معطفها الشتائي الاحمر القاتم الذي امتد

الى منتصف ساقيها.

في ذلك الوقت كان دنزل يراقبها فقال بتشدق:

" معطفك يكاد يكون فيكتوري الطراز .. وهو يناسبك ".

ولما سمعت هذا المديح التهكمي رمقته بنظرة جافة قائلة :

" شكراً "

اذاً يظن هذا الغريب انها قديمة الطراز ولا شك أنه رمي الى اهانتها لكنه لم يصب هدفه .فكلير لا تمانع في هذا الوصف البته لاسيما ان صدر من رجل مثله ولا مجال لانكار انه جذاب فعلا ، فقد شعرت كلير بقوة مغناطيسية جذبتها اليه ما ان دخل هذا المكان . لكنها تعلمت منذ زمن طويل الاتثق بالرجال لاسيما بأولئك الذين يفيضون بالجاذبية فضرب من الجنون ان تتعلق المرأه برجال دللتهم الحياة حتى افسدتهم إذ ان الامر اشبه بأن تسير بإرادتها في

طريق نهايته الجراح. لذا على المرأة المتعقلة ان تترك البعد يفصل بينها وبينهم وان تعاملهم بمنتهى البرودة والجفاء.وكلير اصبحت خبيرة في ذلك الان.

وحين تأكدت من أن ادراج مكتبها مقفلة التقطت حقيبتها ومظلتها، ثم تقدمت نحو دنزل بلانك .كان الظل مازال يحجب وجهه، ولكنها تبينت يدهوهي تمتد الى الباب الامامي لتفتحه لها.

– علي ان اضبط جهاز الانذار ثم اقفل الابواب.

– سأنتظرك عند السيارة.

نظرت كلير الى السيارة السوداء الانيقة .صحيح أنها ليست مهووسة بالسيارات ،ولاتستطيع ان تتكهن طرازها، لكن المرء لا يحتاج الى خبير ليعرف أنها فاخرة وباهظة الثمن. وان استطاع دنزل بلاك أن يقتني مثل هذه السيارة فلا بد أنه قادر على شراء " البحيرة

السوداء". وهذا وحده يبدد أحد الشكوك التي ساورتها عنه.

وحين انتهت من مهمتها ، اتجهت نحوه لترافقه في حين لم يوقف سيل نظراته، فراح يتاملها بدءاً بشعرها الناعم القصير مرورا بساقيهاالطويلتين الرشيقتين وانتهاء بقدميها الرائعتين كانت كلير ترتدي ملابس بسيطه كلاسيكيه لا تبطل موضتها وقد اعتادت ان تختار ثيابها لا طلبا لإعجاب الرجل بل للإحساس بالراحة والهدوء وهما شعوران فارقاها تحت وطأة نظراته المليئة بالسخرية والتسلية.

فمجرد خضوعا لتفحص عيني دنزل بلانك لاسيما وهي تدس رجليها الطويلتين في السيارة كفيل بأن يوقظ الرعشه في جسدها وعرفت أن هذا الرجل يشكل مصدرا حقيقيا للمشاكل.

ولما أصبحت في الداخل التفتت هيلين من المقعد الامامي وابتسمت ابتسامه مهذبة ثم حيتها :

"مرحبا كلير"

ودت كلير لو تغتنم الفرصه فتطرح عليها بعض الاسئلة عن زبونها. لكن دنزل بلاك سرعان مادار حول السيارة ثم صعد اليها قبل ان تنبس كلير ببنت شفة.

فاكتفت بابتسامه ودية وقالت :

"مرحبا هلين ،كيف حالك؟ "

– جيده

ورغم ذلك لم تستطيع كلير الا ان تلاحظ شحوب وجهها فبشرتها التي لطالما كانت قشدية اللون ومتوردة تفتقر الليلة الى اللون. اما عيناها الخضراوان اللتان تتألقان حيويه فواهنتان ناعستان وكأنها مغرمة .

وسرعان ماشاحت كلير بوجهها وقد أجفلت بنات افكراها .ترى،هل هيلين مرتبطه بعلاقة مع زبونها؟ فمنذ طلاقها من بول وهو صاحب فندق محلي مشهور وهي تنتقل من علاقة الى اخرى وما ان استقلت بنفسها حتى اصطف الرجال لارضائها. ويكفي في هذه البلدة الصغيرة المنعزلة أن تواعد المرأه اكثر من رجل في سنه واحده لتقدوا محور حديث السكان.فكيف إذا بهلين التي شوهدت برفقة عدد من الرجال منذ انفصالها عن بول ؟ لكن أيا من علاقاتها لم يعمر طويلا أو يبن على أسس متينه، ولعل ذلك يعود الى شعورها بالامان في تسلسل الاشخاص أولعلها اكتسبت ببساطه مزيجا من التهور والجموح بعد طلاقها. وتقول الشائعات إنها تشاجرت مع زوجها بعد علاقة غرامية عابرة أقامها مع نزيلة

في الفندق علاقة لم تستطع أن تغفرها له قط.

انطلقت السيارة ببطء أولا ثم ازدادت سرعتها مع ابتعادها عن الرصيف. وبدا واضحا أن دنزل بلاك يدرك وجهته جيدا لذا لم تضطر كلير الى ارشاده الى الطريق وما كان منها الا ان اسندت رأسها الى الوراء وراحت تراقب يديه وهما تمسكان بالمقود ولشدة ما كانت تتأملها

لاحظت شعيرات سوداء خفيفة تغطيها وفجأها مزيج من الرشاقة والقوة فيهما وبعد أن فرغت من مراقبة أناملة الطويلة انتقلت الى رسغه وقد زينته ساعه ذهبية لماعه ثم عادت مجددا

الى إصبعه حيث وقع نظرها على خاتم ذهبي ثمين نقش عليه شعار النباله.

أما وجهه فما زال خفيا عنها لكنها تلمح شعره الاسود الكثيف واللماع كلما مروا بمصباح في الشارع وبدا معطفه من الكشمير الداكن .انيقا وغالي الثمن أيضا نعم لاشك أنه يملك الكثير

من المال في ذلك الوقت كانت هيلين تهمس فس اذنه بكلمات لم تسمع كلير معظمها .لكنها سألته بصوت أجش ونبرة تحمل قدرا من الغضب :"وكم تنوي ان تبقى في الولايات المتحده؟"

هز كتفيه بلا مبالاة وأجاب:

" شهرا ،وربما اثنين "

فردت بصوت يخالطه الاسف :

" كل هذه المده؟ "

وهنا قطبت كلير وهي تشعر بالحزن لأجلها وراحت تتذكر الايام التي تملكتها فيها مثل هذه المشاعر بسبب رجل .لكنها تجربة تنوي ألا تكررها ابدا ففيها من الألم ما لاتود أن تعتاد عليه مطلقا. وبعد برهة توقف دنزل بلانك قليلا بسبب زحمة السيارات واستقل الموقف ليلتفت الى كلير في الخلف ويقول:

" إذا قررت أن اشتري هذه الملكية فستمثلني هيلين أثناء سفري "

فردت كلير :

" حسنا.. هل تعيش في غرينهاوي في الوقت الحالي ياسيد بلاك ؟ "

– كلا ،بل اعيش خارج البلدة ، مع أخ هيلين وزوجته في منزلهما الجميل.

وتمتمت هيلين بصوت أبح :

" وهكذا التقينا ".

لم تكن كلير تعرف هيلين جيدا فغالبا ماجمعتهما الاعمال وصفقات الزبائن بدل اللقاءات والزيارات الاجتماعيه كما أن هيلين تشكل جزءاً من ذلك المجتمع الراقي الذي لم تكن كلير تنتمي الية فعدا عن المال امتلكت اسرتها أراض مهمة وورث جيمي ستور بيتا ريفيا يعود الى أيام الملكه آن تحيط به أراض خصبة تبلغ مساحتها بضع مئات من الاكرات

وتقع خارج بلدة غرينهاوي وفيما رعى هو شؤون المزرعة قامت زوجته بإدارة فندق يعتبر بمثابة مقر ريفي لأصحاب الأملاك والأموال وهو يضم مطعما صغيرا اكتسبت شهرة في انحاء الاقليم لأسلوبه المتميز في الطهو ،فلورا ستور طاهية ممتازة تستخدم دائما المكونات الطازجة من المزرعه مباشرة وعمل الاثنان

بجد لكنهما جازفا كثيرا أيضا حتى أضحت حياتهما الاجتماعيه غنية وأصبحا محط أنظار السكان والوافدين.

وبالمقابل لم تكن عائلة كلير تنتمي الى البيئة نفسها لكن ذلك لم يضايقها البته ،فلا الحفلات الصاخبة تسليها ولا النوادي الفخمة تدخل البهجة الى قلبها أما الفرق الرياضية وحفلات العشاء فلا تمت اليها بصلة بل كانت تستمتع بالسير والسباحة وهي تقضي الوقت برفقة عائلتها وعدد يسير من أصدقائها المقربين وهكذا تراها تختلف عن هيلين شيرارد اختلافا كبيرا لم يخل رغم ذلك دون تقديرها لتلك المرأة وإعجابها بأخيها وزوجته.

وموخرا كان الاسف سياورها على خال هيلين فبعد طلاقها بات فيها من الكآبة ما عجزت عن إخفائه

وليت الغباء لا يبلغ بها حد الوقوع في حب رجل بالكاد تعرفة !وحانت من كلير التفاته الى المرأة فوق رأس هذا الرجل واذا بها تقع على البريق في عيني دنزل بلانك الرماديتين. بدت لها حدقتاه واسعتين وكأنهما من الكهرمان الأسود الذي منح العينين لونه أما جفناه فثقيلان يحملان رموشا كثيفة. وحين أمعنت كلير النظر في المقلتين الغريبتين تحاول ان تسبر أغوارهما انسدل الجفنان فجأة ليخفيا التعبير ثم أشاح بوجهه لتتلاشى صورته بغته من المرآه.

أجفلت كلير وهي تتمنى لو سنحت لها فرصة تأمل ملامحه فمهما حاولت ظل الفضول يتملكها ترى ما حقيقة مشاعره تجاه هيليت ؟

أيصطحبها الى "البحيرة السوداء" بصفتها محامية أو بحكم علاقة شخصية أكثر ؟ أيامل أن يكون هذا

البيت العش الذي سيجمعهما مستقبلا ؟ لكن أنى لها من اجابات على هذه الاسئلة؟

عندئذ كانوا قد غادروا البلدة ليبلغوا الريف الاخضر الذي يشرف على هنتر هيل القريبة من غرينهاوي.

فطالعهم من جهة البحر الرمادي العاصف وقد تكسرت أمواجه عند المنحدر الصخري فيما الافق يكاد يختفي تحت نور الشفق وقد مال الى السواد اما من الجهة الاخرى فمراع واسعه تسرح فيها الخراف ومستنقعات داكنة وتلال مرتفعه بدت من بعيد وكأنها حيوانات رابضة تتمطى في الافق وأصبح بامكان المرء أن يرى "البحيرةالسوداء" فكيفما حول نظرة لن يقع الا على أبراج وشرفات تعانق السماء في حصن من الطراز الفيكتوري القوطي أشبه بقصور القرون الوسطى. تمتمت هيلين:\

" يالهي! إنه مخيف "

فضحك دنزل بلاك واجاب :

" الا تحبينه؟ "

وقطبت كلير وقد احست أن رد هيلين قلما يهمه ومه ذلك لا يعنيهاالا ان الفضول حول علاقتهما ظل يزداد تدريجيا.

وانتهى بهم المطاف بعد لحظات أمام بوابة حديدية مصنوعه باتقان . فترجلت كلير من السيارة وتوجهت نحوها وهي تنتقي مفتاحا من المجموعه التي في جيبها ولما كان الصدأ قد اجتاح القفل تطلب منها الامر جهدا من ملحوظا مما دفع دنزل بلانك الى الترجل بدوره والتقدم للمساعدة.

" دعيني أقوم بذلك. "

زفيمتا كانت يده تمتد الى المفاتيح لامست أناملها فِأحست وكأن تيارا كهربائيا يسري فيها وما كان منها الا أن اجفلت وتراجعت قليلا الى الخلف رماها بنظرة جانبية مبطنه حتى شعرت بالاحمرار يتصاعد الى وجنتيها واستبد بها الغضب لم تصرفت على هذا النحو بحق السماء ؟

لا شك انه سيظنها واحده من المراهقات اللواتي تتورد خدودهن ما إن يقترب منهن رجل ما!

وبعد ثواني دار المفتاح في القفل مصشدرا صريرا مزعجا فتقدم ودفع البوابة الى الامام.

" يحتاج هذا القفل الى الزيت. "

" نعم سأحرص على ان يتم ذلك في الغد . "

وبمزيج من الارتباك والانزعاج استردت المفاتيح ثم عادت أدراجها الى السيارة فيما سار دنزل بلاك خلفها.

وكانت الريح تزمجر وتتلاعب بأشجار بساتين " البحيرة السوداء" فاختلست النظر اليه لترى معطفه الاسود الطويل يتطاير حول رجليه وكأنه بات يملك جناحين ويستعد للأقلاع والاختفاء خلف جناح الليل.

بعدئذ انطلقت السيارة ببطء على طول الطريق المتعرجة التي تخللتها الحفر واجتاحتها النباتات والاعشاب وبين حين واخر كانت أرانب برية لم يظهر منها غلا اذنابها البيضاء القصيرة تعترض سبيلهم.

كان كم الصعب عليهم ان يتبينو البستان فعلا لكن كلير تعلم ان نباتات الوردية والغار تنتشرش اكواما على ناحيتي الطريق وفجأة لاح لهم طيف المزل الفارع

بنوافذه المغلقة وكأن الحياة فيه معدومة ولاحظت كلير شبحا اسود يرفرف حول البرج العالي سرعان ماعرفت انه خفاش.

ولما كانت تعلم ان سربا من الخفافيش يعيش على السطح تساءلت إن كان دنزل بلانك سيبدل رأيه بسببها فبعض الناس يكره الخفافيش لابل يرتاع منها لسبب لم تستطع ان تتفهمه يوما فهي ممخلوقات صغيرة جدا لاتهتم الا بالتهام الحشرات ولا تشكل اس خطر على الانسان ومع ان كلير تود لو تحتفظ بالبعض منها في كوخها ال انها قررت عدم ذكر امرها لدنزل بلانك

وهنا سألها:

" اليس من ناظر يتولى الاشراف على المنزل؟ "

فهزت كلير رأسها نفيها واردفت :

" لم يرد المالك أن يدفع ليوظف أحدا فقد انتقل للعيش في اوستراليا ولا نيه له بالعوده الى هذا المكان وكل مايرغب فيه هو بيع المنزل صحيح أنه مازال مفروشا لكن ان كنت مهتما فعلا بشرائه يمكن التخلص من المفروشات في المزاد العلني فيصبح المكان فارغا. "

فرد بغموض وهو يحدق في السماء :

"سنرى "

ونظرت هيلين الى السماء بدورها وسرعان ماطلقت صرخه عالية :

"آه..ماهذا "

فأجاب دنزل بلانك بنعومه :

" إنه خفاش.. وهو من النوع البني الصغيرالذي يدخل البهجة الى القلب .. كما انه بالكاد يفوق حجمه

فراشة كبيرة ترى أيعقل أن أقع على سراب على السطح؟لاشك أن المساحه واسعه تحت العارضة الخشبية وهذا بالضبط مسكنها المفضل "

بدا لكلير أنه يعرف الكثير عن الخفافيش وهذا يعد في صالحه .ولم تتمالك نفسها فابتسمت ورأت لبرهة عينيه القاتمتين ينعكس في المرآه.

" أتحبين الخفافيش يآنسة سامر؟ "

" بل أعشقها وأود أن أقتني البعض منها في منزلي ."

" أتملكين منزلا خاصا؟ "

فأقرت:

" أقوم بتجديد كوخ ريفي قديم لايبعد عن هنا كثيرا.وأعمل على اصلاحه في كل عطلة نهاية الاسبوع.أما باقي الايام فأعيش مع عائلتي في البلدة "

عندها علقت هلين وقد أبدت بعض الحماس للمرة الاولى :

" أنا مهتمه بالتصميم الداخلي فهل تصممين الديكور بنفسك ياكلير؟"

فأجابت كلير بجفاء:

" في الوقت الحالي أقوم بإصلاح السطح ثم علي أن أكسو السقف والجدران بالجص.

أما الديكور فما زال الوقت مبكرا علية. "

بدت هيلين مرتاعه وهي تقول :"تتكلمين وكأن المنزل في حالة دمار شامل"

فضحكت كلير وأجابت :

" إنه كذلك فعلا "

" ولماذا اشتريته بحق السماء؟ "

فردت كلير فيما السيارة تتوقف أمام المنزل :

" عدا عن ان الثمن بخس أعتبرت ذلك بمثابة تحد لقدراتي "

أجابت هيلين وتعابير السخرية ترتسم على وجهها :

" أنت أشجع مني إذن! "

في ذلك الوقت شعرت كلير بدنزل بلاك يتفرس فيها بعمق في مرآه السيارة لكنها لم تحاول ان تلتقي بنظراته المحدقة بل انتقت مفتاح الباب الامامي الكبير وخرجت من السيارة ثم صعدت الدرجات حتى الباب.

وفي هذه المرة دار المفتاح في القفل بسهولة أكبر فانفتح الباب محدثا صريرا طويلا وراحت كلير تتلمس المكان تحثا عن زر الكهرباء على جدران الرواق المكسو ة بالالواح الخشبية وأذا بالنور ينبعث فجأة من ثريا تتدلى فوق رؤوسهم فيما امتدت أمامهم قنطرة

علق عليها خليط مدهش من الصور الزيتيه والمخطوطات والصور المطبوعه والصور الفوتوغرافية الموضوعه في أطر فضية فضلا عن الأسلحه والدروع ورؤوس الحيوانات التي علقت على الواح خشبية.

ولما كانت الريح تعبث في الرواق سمعوا صوت باب يصفق فجأة في مكان ما في الاعلى وارتجت نوافذ المدخل الزجاجية جميعها فصرخت هيلين بصوت أشبة بالنحيب :

"هذا رهيب! "

ثم لفت معطفهات حولها حتى لم يبد منها الا وجهها الشاحب وأردفت :

" لايمكن أن تكون جادا في نيتك شراء هذا المكان يادنزل إنه أشبه بمقبرة وليس بمنزل "

كان على كلير أن تقر أن الجو بارد فعلا لسبب لا يعود الى خلو البيت أو حلول فصل الخريف بل خيل اليها أن برودة قديمه فد تغلغلت في احجار المنزل وقرميده وأن الدفء لن يحل فيه ابدا ولو اشعل المرء موقدا في كل غرفة رد دنزل وهو يفتح الباب الأول الذي يتفرع عن الرواق:

" ستتكفل التدفئة المركزية بنشر الدفء فيه ولن يكون تركيبها بالمهمة الصعبة. "

في هذه اللحظات بالذات استطاعت كلير أن ترى وجهه للمرة الاولى بدا صارما بفمه الواسع الجذاب وانفه القوي وعينيه الشاحبتين اللتين لا يفارقانهما البريقوشعره الاسود المتدلي حتى الصدغ باختصار كان كل من ملامحه يناقض الاخر مما يجعل وجهه موضوعا

تصعب دراسته أو تحديده وفجأة تمتم وهو يتأمل

حجرة الاستقبال الرئيسية :

"أحب الغرف الكبيره "

فوافقت كلير :

" وهذه الغرفة كبيرة فعلاً "

لكن هيلين تأوهت :

" كبيرة؟بل إنها ضخمة "

امتدت النوافذ من السقف الى الارض وعلى جانبي الغرفة وقد وضعت بقربها مقاعد وثيرة تتميز غرف المنزل كلها بسقوف عالية وقد تدلت من سقف الحجرة ثريا أخرى أضف على المكان بريق الحفلات وفي الغرفة أيضا موقد خشبي أشبه بمقدمة السفينه مكسوا بالاجر من الطراز الفكتوري تزين خلفيته الذهبية صور تذكر بالقرون الوسطى.

كان الاثاث قديما وباليا بشكل عام .فالكراسي الفيكتوريه قد خسرت معظم حشوتها والستائر بدت رثه جداً فيما البسط ممزقة بالية .لكن أينما نقل المرء بصره وقع على صور وزخرفات متنوعة حفلت بها جدران هذه الغرفة تماما كالرواق بل كان فيها من الصور ما يدفع العقل الى الدوران فيجول البصر ويجول حتى يعجز عن رؤية المزيد.

وهنا قال دنزل بلاك:

" رائع! "

لكن هيلين اشتكت:

" المجموعه تناسب شاحنة النفايات! "

فسأل دنزل بلاك:

" أقلت إن المجموعه بأكملها ستعرض للبيع؟إن اشتريت المنزل أود ان أختار بعضا منها "

" أنا واثقة من أنني استطيع تدبر ذلك. "

في الواقع كانت كلير لتسعد لو تمكنت بيع جزء من المقتنيات فقط إن بعض التحف قيم لكن الاثاث بمجمله في حالة رديئه وقد يباع في المزاد لقاء سعر زهيد لاغير .ومع ان والدها اعتاد أن ينظم هذه المزادات ،الا انها كانت تمثله في المبيعات فمثل هذه الاجراءات يستغرق ساعات مما يرهق أبيهاويضطرها الى المناوبة عنه حتى نهاية المزاد ومن هنا تعلمت تقدير بعض التحف بمجرد النظر اليها وأصبحت تعرف كم من المال سيدر بيع اثاث "البحيرة السوداء"

وعادت هيلين الى الشكوى وهي تلحق به الى الغرفة الاخرى فيما تطايرت حوله أوراق مصفرة تسللت من الباب الامامي المشرع :

" آه ،دنزل لايمكن ان تكون جاداً فعلاً! "

وقبل ان تلحق كلير بهما توجهت نحو الباب لتغلقه ولما عادت وجدتهما في رواق الخدم المعتم ،وهي غرفة طويلة ضيقة بشبابيك صغيرة زطلاء بني قاتم.وقد بدا واضحاً أن الجدران كانت في ما مضى ناصعة البياض وقد علقت عليها سلسلة من الاجراس دون فوق كل منها اسم الغرفة المناسبة.كما تدلت من السقف مجموعة من العلاقات القديمة التي تثبت اللحوم والاعشاب إضافة إلى بكرة مكسورة للغسيل فوق طاولة كبيرة يجلس عليها الخدم .وبعد ان أجالت هيلين نظرها في المكان قالت بنفور واضح:

"كم هو باعث للكآبة! "

فرد دنزل ،وهو يمرر إصبعه على الرفوف المغطاة بالغبار:

" كل ما يحتاجه هذا المكان هو طلاء ناصع البياض، وورق جدران جميل! يبدو لي ان هذه الخزانه من عمر البيت "

فأقرت كلير:

"هذا صحيح وكما تلاحظ بعض هذه الاواني الخزفية الصينية نفيس فعلا ويعود معظمها الى الحقبة الفكيتورية وأظن أنها ستباع بسعر جيد في المزاد "

" قد أرغب في الاحتفاظ بها كلها. "

فتأوهت هيلين وقالت:

" يإلهي! ستبدو وكأنك تعيش في متحف! "

على الرف الاعلى من الخزانه وقعت عيناه على إناء فيه ازهار ذبلت منذ زمن فبدت مغبرة يابسة يلفها نسيج عنكبوت ارتاح عليه جسم عنكبوت محنط مخيف.

حدقت هيلين فيه وقد أصيبت برعب عظيم ثم لفت معطفها حول نفسها ورمقت دنزل بلاك بنظرة مؤنبة وقالت:

" وكأن المكان مسكون فلا أنفك أتخيل قيام المالكين من الموت ولا استطيع تحمل ذلك بعد الان لذا سأعود الى السيارة فأسرع قبل أن أتجمد من البرد "

وهرولت مسرعه فيما كعباها يحدثان جلبة على أرضية الرواق وبعدئذ ارتفع صرير الباب ثم صفق مرجعا صدى مدويا. تمتمت كلير :

" أخشى انها لاتحب المنزل "

فرد دنزل بلاك متشدقاً فيما لمعت عيناه:

" ولكنها لن تسكن فيه "

ألن تفعل ؟ها قد ذهبت نظريتها الاولى أدراج الرياح فمن الواضح أنه لم يحضر هيلين الى هنا لترى عشها

المستقبلي لكن هل تعرف هي ذلك ؟لا يبدو ذلك فهيلين تتصرف مع دنزل وكانها تمتلكه، مما دفع كليرالى الجزم ان علاقتهما تتعدى الاطار المهني.

ورفعت نظرها الى دنزل بلاك فلمحت تسلية ساخرة لاذعه في عينيه البراقتين لاشك أنه كان يراقبها ويقرأ أفكارها وهذه الفكره وحدها جعلت الاحمرار الطفيف يدب في بشرتها.

ومالبث ان قال :

" أردت منها أن تسدي إلي نصيحة تتعلق بقيمة الملكية "

فأجابته كلير على الفور:

" انها صفقة رابحة لاسيما إذا أخذنا حجمة والاراضي الواسعه التي يشملها بعين الاعتبار."

وما ان سكتت حتى رمقها بنظره قاسية وقال:

" من الطبيعي ان تقولي هذا أليس كذلك؟ لهذا أملت أن تعطي هيلين رأيا محايدا والان هلا صعدنا الى الطابق الاعلى وألقينا نظرة على بقية المكان؟ "

ولما صعدا خيل اليها أن المكان بات أكبر حجماً وأكثر فراغاً وكانت كل خطوة يخطوانها ترجع أصداءً فيما الواح الأرضية تصر تحت وقع خطواتهما ومما زاد الطين بلة أن الجو أصبح شديد البرودة.

ودت كلير لو تلحق بهيلين الى الخارج لكنها ذكرت نفسها بنسبة الارباح التي ستنالها الشركة بعد بيع البيت لهذا ظلت تتبع دنزل بلاك من غرفة الى اخرى وهي تجبر نفسها على التفوه بأي تعليقات ذكية قد تثير حماسه لكنها في الحقيقة كانت تفكر في جنونه الذي يدفعه الى التفكير بشراء هذا المنزل ونظرت الى سرير عال ستائرة حمراء داكنة وبالية قبل ان تتحول

الى مصباح بالقرب منه عكست نوره مرآة من الطراز القزطي ذات اطار من السنديان لاشك ان هذه المرآة ستباع سريعا في المزاد العلني، فحجمها يناسب البيوت الحديثة وهي تلائم تماما النزعة الحالية للفن الحديث.

واستغرقت في تأملها فتبع دنزل بلاك نظراتها وقال مباشرة:

" إنها ساحرة وسأحتفظ بها بالتأكيد "

فسألته بوضوح وقد تأكدت من ذوقه الرفيه :

" ماذا تعمل ياسيد بلاك؟ اعني مامهنتك؟ "

" في الوقت الحالي لا مهنة لي. "

ثم هز الستارة وراح يراقب كيف يتطاير الغبار منها وأضاف :

" لكن لا تقلقي سأدفع لك ثمن المنزل نقدا غدا ان اشتريته..فلن يشكل المال مشكلة "

لكنها لم تفكر في ذلك فتابعت أسئلتها ونار فضولها لم تطفئ بعد:

" وأين تعيش في الوقت الحاضر ؟أعني عدا عم أنك تقيم في فندق جيمي ستور ؟ "

رمقها بنظرة فيها مزيج من السخرية والجفاء ،ثم قال:

"في لوس أنجلوس"

فاتسعت عيناها اشارة الى انها لم تكن تتوقع ذلك :

" حقا؟لكنك لست أمريكيا اليس كذلك؟ "

لقد لاحظت لكنته الغريبه لكنها متاكدة من انها ليست امريكية.

" كلا لقد ولدت في اسكوتلاندا مع انني لا اذكر عنها شيئا إذ تركتها ما ان بلغت الثانية من عمري وعشت في مانشستر حتى صار عمري احدى وعشرين سنه

لكن في السنوات الاخيرة من أيم المراهقة أمضيت سلسلة من العطلات الممتعة في غريناوي."

" ولهذا عدت ؟ "

وتراقصت نظرات التسلية في عينيه وهو يجيب :

" أهذا ماتريدين معرفته؟لماذا عدت الى غرينهاوي؟ في الواقع أجابة على سؤالك لقد عشت في كالفورنيا لسنوات لاسيما في لوس انجلوس وبيفرلي هيلز "

حدقت فيه وهي عاجزة عن كبت السؤال:

" بفرلي هيلز؟ انت لاتعمل في مجال الافلام اليس كذلك؟ "

ثم ضحكت وهي تتوقع منه أن يهز رأسه نفيا لكنه اجاب بهدوء:

" بلى "

فبدت كلير غير مصدقة وهي تسألة :

" وماذا تفعل ؟لست ممثلا طبعا؟ "

لكنه قد يكون ممثلا فعلا فشكلة وجاذبيته مناسبان تماما وبامكانهما أن تتخيلة في هذا المجال.

" لقد مثلت قليلا منذ سنين مضت لكنني لعبت أدواراًثانوية إلا أنني أردت أن اكون وراء الكواليس فعملت وظائف عدة في هذا الميدان وأصبحت مصورا فوتوغرافيا ومصورا سينمائياً ومصمم مسارح اما طموحي فكان الاخراج وحققت حلمي اخيرا لكنني في الوقت الحالي بلا عمل ..فعدت الى بريطانيا لأنني أردت أن ابتعد عن السينما قليلا. "

" هل اخترت غرينهاوي لان فيها ذكريات لم تعرفها في اسكوتلاندا؟ "

فأوما وأجاب :

" كانت لي ذكريات جميلة في غرينهاوي كأيام الصيف على شاطيء البحر والنزهات قرب المستنقعات وقد سلمني وكل سفر كتيب عن فندق جيمي ستور ولهذا انا هنا "

وأزال الغبار عن يديه بمنديل وهو يكشر قائلا:

" البيت كله قذر جدا "

ثم أسند ظهره الى الجدار وعيناه القاتمتان الثاقبتا النظر هائتان:

" حسنا لننتقل الى حديث الاعمال آنسه سامر أنا متأكد أنك تدركين أن السعر باهظ مقارنه مع حالة المنزل فعلي ان أنفق ثروة لأقوم بالاصلاحات قبل ان انتقل اليه لكنني ساعطيك السعر الذي انا مستعد لدفعه ويمكنك أن تكلمي المالك وتعلمين النتيجة عبر هيلين لكنني لن أساوم بل

ساقدم عرضا واحدا لاغير فإن رفضه لن اكلف نفسي عناء مناقشة المسألة من جديد "

راحت كلير تراقبه بهدوء ثم أومأت أخيراً فعرض سعراً أقل بكثير مما تأمل عندئذ تحجرت عيناها الزرقاوان وقالت بفتور :

"حسنا سأبلغ زبوني بعرضك لكنني أشك في أنه سيوافق على هذا الثمن البخس"

" اخبريني منذ متى والمنزل معروض للبيع؟ منذ سنوات عدة أليس كذلك إن المنازل الفارغة تنهار بسرعه لاسيما هذا..وبعد سنتين سينهار السقف فيما يكسر الاولاد النوافذ ويغدو البستان برياً تماماً ولن يطول الامر حتى تمسي أطلالاً ليس الا. "

ومع انه محق رفضت كلير أن تقر بذلك وتمتمت بصوت بارد وبعيد:

"سأكلم زبوني "

واستدارت ونزلت السلالم لتخرج من المنزل ودنزل بلاك يلحق بها .

في الخارج كانت العاصفة تزداد عنفاً والريح تعوي كما الذئب حول المنزل وفجأة دوى الرعد وتبعه برق قوي شق السماء وراحت انوار الثريا تومض حتى انطفأت اخيرا ليغرق المكان في ظلام دامس في ذلك الوقت كانت كلير قد وصلت الى منتصف السلم المحفور باتقان فتوقفت بغته وهي عاجزة عن الاهتداء الى طريقها في هذه العتمة المفاجئة.

كان دنزل بلاك قد أصبح خلفها تماماً ولما وضع يده على كتفها احست بنفسها تطسر في الهواء.

" ألديك مشعل كهربائي؟ "

أجابته وصوتها يكاد لايسمع :

" في السيارة "

فتنهد :

" لاتقلقي أستطيع أن أرى في الظلام أعطني يدك "

وانزلقت أنامله من كتفيها الى ذراعها ومنها لتمسك بيدها ووردت كلير لو تسحبها بعيدا فهو يملك تأثيرا غريبا عليها لكنها لم تحبذ فكرة البقاء وحدها في العتمة .وكان عليها أن تسارع في الخروج من هنا لذا تركته يقودها على الدرجات.

حين عادا الى السيارة وجدا هيلين واقفة قربها .ولما رأتهما ركضت نحوهما وتعلقت بدنزل بلاك بحالة اقرب الى الهستيريا :

"لقد أنطفأت الانوار كلها ثم ومض برق رهيب ...ألم تر ذلك؟كانت العاصفة من القوة بحيث خفت أن تقلب السيارة في طريقها ثم رأيت هذا البرق وانطفأت الانوار فناديت وناديت ..ألم تسمعني ؟ كيف يمكنك أن تتركني وحدي في الخارج في مثل هذا الظلام طيلة هذا الوقت؟"

فهدأ دنزل بلاك من روعها ورأسه محني فوقها :

"يجب ألا تغضبي بهذا الشكل فانا أسمع قلبك وهو يخبط كالطبل! "

ثم أحنى رأسه أكثر حتى ظنت كلير أنه عانقها فأشاحت بنظرها سريعا وقد علا وجهها الاحمرار. ليتذكرا على الاقل انها موجودة !وهي بالطبع لاترغب في ان تكون شاهدة غرامهما !

أطلقت هيلين تنهيدة طويلة توحي بإرهاقها ثم احاطته بذراعيها وهمست :

" آه،دنزل.. "

فهدأها قائلاً:

" صه..أنت بامان الان ،سنوصل الانسه سامر الى منزلها، ثم آخذك الى البيت هيا عودي الى السيارة وستصبحين بحال أفضل ماإن يغملاك الدفء "

أطاعته هيلين بضعف ثم جلست في مقعدها من غير ان تضيف كلمة أخرى ولما عادت كلير بدورها الى السيارة لاحظت ان هيلين أغلقت عينيها وكأنها تكاد تغفو.

وفيما ابتعدوا عن "البحيرة السوداء "سألها دنزل بلاك :

" أين تعيشين يا آنسة سامر؟ "

" بالقرب من المكتب في ساحة يورك لابد من أنك تعرفها ..إنها ساحة من العصر الجورجي بنيت خلف تاون هيل"

" نعم أعرفها وهي تضم منازل جميلة جداً،تخضع لحماية جيدة أيضاً.وهل تعيش عائلتك هناك منذ زمن طويل؟ "

" لقد ولد والدي في هذا البيت ، وعشت فيه انا طيلة حياتي ،إنه منزل مليء بالحنان.. ونحن نحبه. "

" ولكنك تنوين الانتقال ما إن تنتهي الإصلاحات في كوخك ."

فشرحت له كلير رغما عنها وهي تتساءل لم يطرح كل هذه الاسئلة :

" أفراد الاسرة كثيرون ، واود الحصول على مكان خاص بي. "

-" الديك العديد من الاخوة والاخوات؟ "

فردت:

"أخوان واخت وفي المنزل أربع غرف نوم فقط يشغل أبي إحداها ويحتل أخواي غرفتين أيضاً فروبن تلميذ ويحتاج الى مكان خاص للدرس ولأخي الصغير جايمي غرفة ضيقة .أما أنا وأختي فنتشارك في غرفة. "

" كم عمرها ؟ "

فتحركت هيلين بامتعاض:

"كفى طرحا للأسئلة عليها يادنزل! تبدو وكأنك مضيف في أحد البرامج التلفزيونية "

فقهقه ، ولكن كلير لاحظت أصابعه الطويلة تشتد على المقود وظهر لون أبيض طفيف عند مفاصلة وشكت في أنه لم يعجب بالطريقة التي صدته فيها هيلين.

وقاد السيارة بصمت حتى بلغوا البلدة فراح يبحث عن طريق يحيد منها عن الطريق العام .ولما وصلوا الى ساحة يورك ظهرت أمامهم المنازل التي يعود معظمها الى أوئل القرن التاسع عشر .وفي وسط الساحةانتشرت حدائق مشذبة بعنايه تحيطها شرشفات من العصر الفكتوري مطلية حديثا مما يضفي على المكان طابعا ريفياً لاسيما في الصيف حيث تزدان الاشجار بكامل أوراقها وينتشر عبق الازهار في الهواء.

وسألها دنزل بلانك : "ايها بيتك؟"

فتقدمت كلير لتشير اليه:

"هذا هو عند مصباح الشارع ذاك الذي تنمو نباتات البهشية في حديقته"

ركن السيارة عند مصباح الشارع فشكرته كلير بأدب وودعته :

"سأعلم هيلين بقرار زبوني في أقرب وقت ممكن

..عمت مساءًهيلين"

فتمتمت هيلن بنعاس : "عمت مساءً"

وما كان من دنزل بلانك الا ان ترجل من سيارته

وتقدم ليفتح باب كلير.

فشكرته وهي تتجنب يده التي امتدت لتساعدها :

"شكراً ،عمت مساءً ياسيد بلاك "

وقبل أن تتمكن من الهروب انفتح باب بيتها الامامي

وكشف النور الاصفر في الرواق عن طيف فتاه ثم ظهر

وجه يكلله شعر فضي تتميز خصلاته بالطول

والنعومه.

سألها وقد تبدل صوته :

"من هذه؟ "

فرمته كلير بنظرة عابسة، ولم تجب.

وامتد بينهما صمت طويل قبل أن تبدأ الفتاة بالتقدم نحوهما.

وكرر دنزل بلاك سؤاله ببطء:

" أهذه أختك؟ "

فاضطرت الى الاجابة بصوت فاتر :

" نعم "

في الواقع ،كانت تتمنى لو أن لوسي لم تخرج في هذه اللحظة فهي تشعر نحوها بالحماية الشديدة. كما انها تتمتع بحدس قوي وحدسها ينبئها الان بأن لقاء لوسي بدنزل بلاك لن تكون عواقبه حميدة. وقالت اخيرا املة أن يرحل :

"عمت مساءًسيد بلاك "

لكنه لم يفعل بل لازم مكانه وهو يراقب لوسي تتقدم نحوهما ببطء وقد ارتسم على وجهه هدف معين .صرت كلير على أسنانها وهي تود أن تقرأ افكاره.

ولما وصلت لوسي الى دائرة الضوء عند البوابة ،توقفت ثم ارتسمت على وجهها المستدير ابتسامة أضفت عليها الاشراق . ومع انها لم تكن قد ترجت إلا ان بشرتها بدت ناعمه صافية ورائعه. كانت بشرتها تماثل بشرة كلير إلا أن الفرق بينهما شاسع.ولاغم أن كلير كانت تدرك أن سحرها يجذب الرجال إلا أن لوسي تعتبر وبكل بساطه جميلة.

وبالإضافة إلى ذلك تتمتع لوسي بتألق غامض ،يعود من جهة الى بشرتها البيضاء وشعرها الطويل الذهبي المتطاير حول وجهها ،وعينيها اللتين تفوقان عيني كلير

زرقة ومن جهة أخرى الى طبيعتها التي تماثل طبيعة الاطفال براءة.

وأحياناً يبدو لكلير أن لوسي لم تبلغ سن النضوج بعد ربما لأن أسرتها أفرطت في تدليلها ومع ذلك لم يكن هذا يهم لأنها مفعمة بالحب والحنان وكما انها طيبة القلب وكريمة ولهذا كان القلق عليها غالباً مايتملك كلير فماذا لو جرحها رجل في يوم من الايام ؟ولهذا غمرها شعور عظيم بالارتياح لما خطبت الى شاب عرفت كلير أنه لن يدخل الحزن أبدا الى قلب اختها الصغيرة.

وما إن بلغت لويس مرمى سمعهما حتى هتفت :

" يالها من سيارة رائعة !انها من طراز اللمبورغيني.أليس كذلك؟"

وأردفت بعد أن منحت دنزل نظرة ساحرة :

" اهي لك؟ مرحباً،انا لوسي اخت كلير نحن لم نتقابل قبلاً صح؟ "

فأجاب وقد لمعت حدقتاه السوداوان:

" صدقيني كنت لاتذكر ذلك "

واخذ اليد التي مدتها لوسي ثم انحنى ليطبع عليها قبلة فأطلقت لهاثاً مفاجئاقبل أن يضحكا معاً.

" انت لست فرنسيا أليس كذلك؟ "

فضحك مجددا وقال :

"جدتي فرنسية أيؤخذ هذا في عين الاعتبار؟ "

" بالطبع .لقد عرفت أنك تبدوا فرنسياً "

عندها تمتم:

"سأقضي الليل بأمكمله هنا، ان بدأت أصف كيف تبدين "

فاحمرت وجنتا لوسي ثم قهقهت بحماس .

أما كلير فبدت غاضبة حتى أحست بأسنانها تؤلمها

ومالبثت أن قالت لدنزل بلاك بضيق:

"هيلين في عجلة من امرها أتذكر؟"

رمقها بنظرة جافة ثم أختلس النظر الى داخل السيارة

وفي ذلك الوقت تقدمت هيلين الى النافذة وطرقت

عليها بشدة وسرعان ما سمعها الجميع تنادي بنزق:

" دنزل! "

فلوح لها من بعيد ثم نظر الى لوسي مبتسماً وبريق

عينيه القاتمتين لا يفارقه.

" أخشى أنني مضطر للذهاب وسأرحل الى الولايات

المتحدة غداً لأمضي فيها شهرين لكنني سأعود

وحينها سنلتقي مجدداً. "

ومالبث أن عاد الى سيارته فأدار المرك ثم أنطلق مخلفا

وراءه هدير ناعماً.

وتمتمت لوسي حالمة:

"أرايت هذه السيارة..أليست رائعه؟ وهو..ماذا قال اسمه؟ دنزل ماذا ؟هذا اسم غير مألوف .فأنا لم ألتق أحداً بهذا الاسم من قبل اهو رفيقك الجديد ياكلير ؟لم تذكرية أمامي قط ! كيف تخفي السر عني؟ انه يماثل سيارته روعة .لم تقع عيناي على رجل مثلة أبداً. أين التقيت به.ولماذا هو "

" مع هيلين شيرارد ؟أخبريني كل ماتعرفينه عنه"

" هو ليس صديقي بل مجرد زبون وأنا بالكاد أعرفه. "

حاولت كلير ألا تفقد أعصابها لكن صوتها بدا قاسياً

مما دفع لوسي الى التحديق فيها بغرابة فمن غير المألوف أن تظهر كلير مثل هذا الانفعال وسرعان ما سألتها بارتياب:

"ما لاأمر ؟"

فأجابت كلير:

"إنسي ذلك ودعينا ندخل الى البيت فالجو بارد"

وتقدمت الى الامام وهي تسرع الخطى.

في الواقع لم تعجبها قط الطريقة التي نظر بها دنزل بلاك الى لوسي وكأنها واحدة من ممتلكاته ومع انها بالكاد تعرف الرجل إلا انها لم تعجب به او تثق فيه اطلاقاً ورغم أملها في الحصول على حصتها من الارباح بعد إتمام الصفقة وبيع "البحيرة السوداء" الا انها تمنت ان يرفض المالك عرض دنزل بلاك عندئذ قد يرحل بعيدا ويعيش في مكان أخر فلا تضطر هي الى القلق .

# وهذا الفصل الثانى

## 2-لن أكون ضحيته!

لكن المالك قبل عرض دنزل بلاك في الحال .ولما سمع والد كلير هذه الأخبار هتف :

" سنتخلص أخيرا من هذ الملكية التي لاقيمة لها! "

ثم رمى ابنته بنظرة لاذعه :

" لايبدو عليك السرور المفرط!أتظنين أن المشتري لن يتمكن من الدفع ؟ "

فأجابت بتهكم :" كلا "

ولم تكلف نفسها عناء الشرح بل توجهت الى الهاتف لتخابر هيلين شيرارد.

فردت هيلين بصوت خافت يفتقر الى الحيوية،هذا إذا تجاهلنا فرحها بالخبر :

"هذا رائع!سأشرف على إرسال العربون حالاُ ثم أباشر بالاجراءات".

" ألا يتضمن العرض وجود تقرير مسح أراض؟ "

وكان من الغريب فعلاً ألا يذكر دنزل بلاك كلمة عن ضرورة إحضار ماسح أراضي ليلقي نظرة على المنزل.

" كلا لقد أكد دنزل أنه سيشتريه مهما كانت حالته وعلى كل حال سيقوم بإجراء العديد من الإصلاحات وقد أخذ ذلك بعين الاعتبار في العرض الذي قدمه. "

فتمتمت كلير : "لقد عقد صفقه رابحة فعلاً "

في الواقع كانت تتمنى لو يبدي اعتراضات عساها تقنع زبونها بالاحجام عن البيع مع أن ذلك سيلحق بها الخسارة .إلا أنها لاتتصرف دوما على هذه الصورة الحمقاء.

" إن كان يدفع نقدا فلن يكون من الصعب إتمام الصفقة. "

فردت هيلين :

" أنا متأكدة من أننا لن نواجه صعوبات وسأقوم بمسح الارض بنفسي إثباتاً لسند الملكية "

وما إن أنهت جملتها حتى تنهدت بصوت مسموع مما دفع بكلير الى القول :

" تبدين متعبة جداً ياهيلين.. أترهقين نفسك في العمل؟ "

" ليس تماماً لكن العمل يصيبني بالملل ومهنتي كما تعلمين ليست مثيرة الى هذا الحد كما انني افتقد دنزل فمع أنه لم يسافر الا منذ ايام قليلة الا انها تبدو لي اشهراً. "

وفيما كانت كلير تصغي اليها راحت تعبث بالختم الموجود فوق المكتب بعبوس :

"والى متى سيبقى في الخارج؟ "

" آه سيتغيب شهرين على الاقل وهو يرجو أن يعود في عيد الميلاد .لكن يبدو أنه غير متأكد من ذلك. "

فأجابت كلير بلا مبالاة :

" ياللأسف ..حسنا دعيني احصل على العربون

،وسأترك زبوني يتصل بمحاميه أيضاً الى اللقاء ياهيلين

اتوقع أن أكلمك قريباً "

وبعد يومين تقريباً التقت هيلين في "هاي ستريت"

وصعقت لشحوب وجهها :

" لقد فقدت الكثير من الوزن ياهيلين أظن يجدر بك

زيارة طبيب!فلا بد أنك مريضة "

فهتفت هيلين بحدة :

" بالله عليك، لا داعي لكل هذا القلق فأنت تبدين

كأمي ! "

فقهقهت كلير وسألتها بتشدق:

" آسفة ..هل سر السيد بلاك بقبول عرضه؟ "

وهنا بدت ملامح هيلين أكثر حدة :

" نعم هل رأيت صورته في صحف الاحد؟ "

فأجابت كلير:

" أنا لا أطالعها أبدا في الواقع لا املك القوة اللازمة لاقوم باي عمل صباح الاحد الا النوم حتى ساعة متأخرة أكانت صورته في الصحف حقاً؟ "

" لقد نال جائزة أو ماشابه فنشرت صورة كبيرة له مع نجمة الفيلم. وهي ممثلة بارعة مثلت في العديد من المسرحيات في برودواي قبل أن تدخل مضمار السينما وهي تتميز بشعر اسود ووجه ساحر.أظن أن اسمها ديردر أو شيء من هذا القبيل وهي نصف مكسيكية ونصف إيرلندية. "

فقالت كلير بعبوس :

" ياله من مزيج! ومع ذلك عرفت من تقصدين .انها لا تدعى ديردر بل بيلا .لقد شاهدت فيلمها الاخير عن مصاصي الدماء، وهو لابأس به ان اردت رأيي

!لكن المشاهد الاباحية كادت تحرق الشريط

السينمائي الذي صورت عليه. "

ردت هيلين وهي تبتسم بشحوب :

" نعم هي من اقصد وهذا فيلم دنزل الاخير"

فاتسعت عينا كلير اندهاشاً:

" أنت تمزحين ! هو من اخرج هذا الفيلم؟ "

وسرعان ما انطبعت في ذهنها فكرة جديدة عن دنزل

بلاك في لم تر مشاهد حميمية بهذه الحرارة من قبل.

ثم قالت هيلين بصوت أجش ووجها سكاد يقارب لون

الورقة بياضاً:

" ومن خلال ماأكدته الصحف هذا الاحد فإن علاقة

تربطه بتلك البيلا! "

وما إن فرغت من كلامها حتى استدارت وابتعدت

وفجأة توقفت وإذا بها تترنح قبل أن تنهار أرضاً. اما

كلير فلم تستطيع أن تمسكها وقبل ان تدرك مايحدث مالت هيلين جانباً وصدمت رأسها بعمود كهربائي. وبالطبع سرعان ماتجمع حشد من الناس فركعت كلير بجانبها بقلق وهي تنظر الى الوجه الشاحب والشعر الاسمر الأحمر الكثيف:

" هيلين؟هيلين، هل انت بخير؟ "

وصدح صوت من الحشد :

" لقد أغمي عليها "

وأكد صوت آخر:

" لقد صدمت رأسها ورأيتها تفعل ذلك عمداًوهي على الارجح ثملة كما بدا لي "

" اطلبوا سيارة إسعاف فعلينا أن ننقلها الى المتسشفى. "

وتقدم بائع قليلاً:

" لقد فعلت ذلك وستصل السيارة بين لحظة واخرى"

وبدأت أهداب هيلين ترف وأخذت تطلق تنهيدات

من بين شفتين تماثلان وجهها بياضاً وتناهت الى

مسامع كلير الكلمة التي تفوهت بها هيلين وكادت

تجزم أنها قالت : "دنزل.."

لم تعرف كلير هل تأسف لأجلها أم تغضب منها أو

ربما يجدر بها ان تغضب من دنزل بلاك وما لبثت ان

فكرت وهي تنظر الى المرأة الاخرى بكآبة ، ان اي

امرأه تصل الى هذا الحال بسبب رجل تستحق صفعه

قوية .

وسرعان ماوصلت سيارة الاسعاف ، وقد ارتفع صوت

صفارتها عندئذ تفرق الحشد ليفسحوا المجال

للمسعفين. ولما وصلوا الى المصابة تفحصوها وسألوا :

"كاذا جرى؟"

فارتفع لغط عظيم من الاصوات وما كان من كلير الا ان شقت طريقها عبر الناس ببرودة وفعالية وتولت الشرح:

" لقد أصيبت بإغماء وارتطم رأسها بهذا العمود الكهربائي فيما كانت تقع "

خمدت الاصوات وراح الجميع يحدق فيها. وبما أنها معروفة في البلدة لم يحاول احد أن يجادلها في هذا المكان العام لكن تناهت اليها بعض التعليقات الهامسة التي ردت حالة هيلين الى الثمل.

ورافقت هيلين الى المستشفى ثم اتصلت بوالدتها من غرفة الانتظار:

" ستبقى في المستشفى هذه الليلة فالأطباء يريدون اجراء بعض الفحوصات ويحتمل أن تكون مصابة بفقر

الدم إذ يبدو أن الكريات الحمراء في دمها منخفضة وكذلك ضغط دمها "

بدت أم هيلين مرتعبة وهي امرأه حساسة وتنفعل بسهولة وكان يخيل لكلير أحيانا أنها مازالت تبكي زوجها الذي توفي منذ حوالي السنتين. ولهذا تراها في معظم الاحيان ترتدي ملابس سوداء أو رمادية والدموع لا تفارق عينيها .

" آه، لا, أتظنين...أيظنون أنها..؟كما تعلمين ،توفي والدها متأثراً بداء السرطان...."

ثم توقفت عن الكلام وقد غلبتها الدموع :

"كلير إذا أصاب هيلين مكروه في الواقع..أنا شديدة القلق عليها ففي الاونه الأخيرة كانت شديدة الشحوب ولا حيوية فيها إطلاقاً. وهذا ماحدث لأبيها .لطالما كان الروح التي تنبض في المكان ،وتبعث

الحيوية فيه على أي حال انت يا كلير تذكرين حالها قبل الطلاق ! أعرف انكما لم تكونا صديقتين مقربتين غير أنك عرفت هيلين منذ سنوات وتعرفين انها انسانه مرحه لكنها بدأت تذبل في الشهرين الماضيين ولم يستطع الطبيب أن يتكهن مابها "

ومضت في عيني كلير الزرقاوين شرارة جليدية فهي تعرف تمام المعرفة ماذا حدث لهيلين مؤخراً وتعلم أيضاً أن ما من طبيب يمكن أن يداوي جرحها وسرعان ما سالت جويس:

"هلا اتصلت ببول وأعلمته بمرضها؟ "

" بول؟ أتظنين أنه يجدر بي إعلامه ؟ فعلى أي حال لقد تطلقا وأعتقد انه التقى امراة اخرى الان. "

" لكنهما كانا متزوجين لفترة طويلة ، وأنا متأكدة من أنه سيقلق بشأنها. "

فتلعثمت جويس:

" آه ..كلير,أنا ..كلير،هلا فعلت؟ سيكون من الأسهل لو اتصلت به أنت.أعني لا احب أن اتدخل ..فهيلين لن تسر بذلك وقد تغضب مني حتى.."

فتنهدت كلير:

" لكني بالكاد أعرفه ياجويس! "

" أرجوك كلير هلا اتصلت به ؟.

استسلمت كلير وقد تهجم وجهها ثم اتصلت ببول شرارد في فندقة ،فأجابتها سكرتيرته بلهاث وقد بدت شابة مغناج:

" مكتب الاستاذ شيرارد آه الانسة سامر؟ هل الامر ضروري ؟في الواقع لا أعرف إن كان ..سأتحقق إن كان متفرغاً. "

وبعد برهة ارتفع صوت بول :

" صباح الخير ياكلير ،كيف حالك؟ "

" بخير بول لكنني اتصل من المستشفى حيث ستبقى هيلين حتى صباح الغد .وقد يكون مرضها خطيراً فالأطباء غير متأكدين بعد..واعتقدت أنه يجدر بي أخبارك.

فأجاب بجفاء :

" ماذا تعنين بأن مرضها خطير ؟ماباالها؟ "

" ليست لدي أدنى فكرة يابول لكن حالتها تبدو رهيبة وفكرت فقط في أن اخبرك .كانت امها في غاية القلق لما أخبرتها كم اتمنى أن يصارحني الاطباء هنا بالحقيقة لكنهم لم يورطوا أنفسهم بتشخيص. "

" الن يفعلو؟ سنرى بشأن ذلك .سأكون عندك في غضون نصف ساعه. "

وما إن انهى كلامه حتى أغلق السماعة.

في ذلك الوقت ، انتظرت كلير في المستشفى حتى وصل بول ووالدة هيلين في الوقت نفسه تقريباً ومن ثم توجهت الى المكتب المقفل منذ الصباح.

لاحقاً اتصلت بالمستشفى تسأل عن حال هيلين ،لكنها لم تتلق أي مستجدات باستثناء أن الخطر قد زال عن المريضة التي استعادت وعيها، وستلازم غرفتها لأيام عدة .فأرسلت لها كلير باقة أزهار مرفقة ببطاقة تتمنى لها فيها الشفاء العاجل.وفي عصر اليوم التالي زارتها فوجدتها تستند الى وسائد مكدسة وهي ماتزال شاحبة فاترة الهمة. ومالبث أن تمتم :

"يقول الاطباء ان بوسعي مغادرة المستشفى في نهاية وبعد ان اجروا الفحوصات شخصوا أنني مصابة بفقر الدم"

ثم أردفت ضاحكة :

"سأضطر الى شرب الدماء كما دراكولا "

لكن كلير لم تضحك فقد راعها منظر هيلين من الظلال السوداء تحت عينيها الى أناملها الضعيفة واظافرها المتكسرة .لكن حمداً لله أن المرض لا يتعدى فقر الدم مما سيزيل حملاً ثقيلاً عن كاهل السيدة ستور. الا ان كلير لم تنس نظرة الألم في عيني هيلين وهي تتحدث عن دنزل بلاك وممثلته المثيرة .

وعرفت أن هذا الرجل سبب المشاكل ،ومالبثت أن قالت كاذبة :"تبدين بحال افضل"

فأشرقت أسارير هيلين وقالت :

" أتعتقدين ذلك؟ وفقاً للاطباء، لا يجدر بي أن أعود للعمل ، بل علي أن أرتاح لأسابيع عدة لذلك فكرت في أن ألازم منزل أخي لكن بول ينصحني بالسفر بعد

الميلاد وبما أنه مسافر الى مايوركا الى الشقة التي نملكها هناك فقد اقترح علي مرافقته "

وعلا احمرار طفيف وجنتيها ثم نظرت الى كلير بتحد قبل ان تشيح بوجهها بعيدا وأردفت :

"في الواقع كنا متزوجين لسنوات ولن يجد احد الامر غريباً "

فأجابت كلير:

" بالطبع لا. وأظنها فكرة رائعه "

ثم منحت هيلين ابتسامة دافئة وفكرت في ان بول لو اصطحبها بعيدا ستنسى دنزل بلاك وقد تفكر في الارتباط مجدداً بزوجها والى الابد وليس أثناء عطلة الميلاد فقط.

ثم قالت هيلين وقد ازداد توردها :

" طآه وبالمناسبة جوني برتشارد هو من يتولى مسألة "

البحيرةالسوداء "الان "

فردت كلير بهدوء :

" لست قلقة بشأن هذا .فما زال أمامنا وقت "

عندئذ هتفت هيلين وقد أصيبت بصدمة:

" آه ،لا ، فدنزل على عجلة من أمره "

" دعك منه الان وانتبهي الى نفسك وحسب وعلى مدى الاسابيع التالية انشغلت كلير بما يفوق العادة وبعد هذا غير مألوف فالناس لا يقبلون على شراء المنازل في الشتاء"

لكن كلير شهدت شتاءً حافلاً بالاعمال هذه المرة فقد قامت شركة ببناء بنايات ضخمة تضم شققاً فخمة تطل على الميناء ولما عجزت عن بيع معظمها لجأتالى تأجيرها عوض أن تتركها خالية فكلفت كلير

بالعثور على مستأجرين مما دفعها الى قضاء الوقت برفقة أي زبون مهتم بالامر في جولات حول المكان واتفاقات حول الايجار. وبما انها امضت معظم الوقت خارج المكتب فقد عاد والدها ليساعدها قليلاً لكن ورغم ذلك يبقى عليها إعداد العديد من التقارير .

وفي أحدى امسيات شهر تشرين الثاني كانت تجلس الى مكتبها منكبة على العمل في وقت أغلقت فيه كل المتاجر الاخرى ،حين رن جرس الهاتف فجأة.

فأجابت بتأفف: " آلو؟ "

" تبدين حادة الطباع. "

أحست بتيار كهربائي يسري فيها لكنها تظاهرت بأنها لم تعرف صاحب الصوت وأجابت ببرودة :

" من المتكلم؟ "

فضحك حتى على الاحمرار في خديها ثم قال :

"اسمعي سأرسل فريقا من الرجال الى"البحيرة السوداء" وسيقدمون لي توصيات تتعلق بكيفية تجديد المكان من دون القضاء على روحه القديمة فهلا أرسلت لهم المفاتيح اليوم؟ مهندسي هو برنارد آتكنز وسيتصل بك هذا الاسبوع "

" حسنا لكن لايمكنك أن تحدث أي تغيير في المنزل قبل ان تمتلكه فعلا. "

" أعلم ذلك وكم تحتاجين من الوقت قبل أن يصبح العقد جاهزاً للتوقيع؟ "

" سيحتاج هذا لأسبوع أو اثنين . "

ثم توقفت قليلا قبل ان تجيب بصوت اكثر برودة من ذي قبل :

" اتوقع انك عرفت بمرض هيلين؟ "

" نعم لقد تلقيت منها رسالة تفسير وان عدت قبل ان ترحل الى مايوركا فأتفقدها حتماً "

فسارعت تجيب :

" لن أفعل ذلك لو كنت مكانك فهي تحتاج الى الراحة الكاملة ولا يمكنها أن تستقبل زواراً "

عندها تغير صوته وأضحى ناعماً حتى اقشعر بدن كلير:

" لكنها سترغب برؤيتي "

عضت على شفتيها وردت:

" قد ترغب في ذلك لكن لن يكون ذلك لصالحها "

فأردف وقد زداد صوته نعومه :

" أنت لاتحبينني كثيراً أليس كذلك يا آنيه سامر؟ "

" أنا لا أعرفك لدرجة تسمح لي بتكوين ولو رأي بسيط عنك "

فتمتم:

"حين أعود سأحرص على أن نغير ذلك "

فما كان منها الا أن هتفت :

" علي أن انهي المكالمة ياسيد بلاك.فأخشى أنني مشغولة جداً لكنني سأتأكد من حصول المهندس على المفاتيح مع السلامه "

وبسرعه أغلقت كلير السماعة قبل ان يضيف كلمة اخرى ثم بقيت تحدق في الشارع المظلم الخالي ونبضها يخفق في حنجرتها بشدة وضعت يدها على عنقها بعصبية، ولما ضغطت على بشرتها أحست بالدم يتجمع تحت ضغط أناملها.

ومالبثت ان أخفضت يدها وهي تذكر نفسها بغضب أنه من الضروري ألا ينال منها هذا الرجل لاسيما أنه الان في الناحية الاخرى من المحيط الاطلسي وسيبقى

هناك لمدة طوييلة كما ترجو لكن. في حال عاد فلا نية لها بتعزيز أواصر المعرفة بينهما ابداً.

وبعد مضي ساعه عادت الى البيت ولم تفاجأ إذ وجدت أن أحدا لم يقم بإعداد الطعام بعد وقد جرت العادة أن توزع الادوار بين أفراد العائلة لكن مع الوقت صارت كلير تعده لسبب أو لاخير فوالد كلير يتكفل بشراء الحاجيات إلا انه لا يهوى الطبخ ولايعد الى ذلك طاهياً ماهراً وكذلك هي الحال بالنسبة للباقين ولطالما اعتقد روبن وجايمي ان الطبخ من مهمة الفتيات أما لوسي فتملك نية تحضير الطعام دائماً الا انها غالباً ماتسافر مع أحلام اليقظة وتنسى الامر لم تكن لوسي في المنزل ذلك المساء بل وصلت منتصف العشاء ثم هتفت بسعادة وهي تجلس في مقعدها المعتاد وتملأ طبقها من وسط المائدة :

"آه رائع !سجق وبصل"

فأنبها والدها :

" كان من المفروض أن تعدي الطعام هذا المساء يا لوسي! "

بدأت لوسي تئن :

" آه لا ..عرفت أنني نسيت أمراً ما .. من طبخ إذاً "

فتساءل والدها بسخرية وهو يرمقها بنظرة اتهامية:

" ومن تظنين؟ "

" أنا آسفة ياكلير لقد نسيت حقاً!بل غاب عن ذهني تماماً !سأنوب عنك ما ان يحين دورك ثانية فمتى يقع هذا؟ "

" غداً "

" حسناً لن أنسى "

ثم نظرت الى صحنها وأردفت :

"لم أتلق أي رسالة من مايك اليوم أيضاً وها قد مضت عشرة ايام على رسالته الاخيرة ارجو ألا يكون مريضاً "

فسارعت كلير تجيب وهي تراقب أختها بقلق :

" بل لعلها مشاكل البريد "

كانت لوسي رقيقة وحساسة وتجرح بسهولة لذلك تنفست الاسرة الصعداء عندما التقت بمايك دانكن قبل سنة فيما كانت لاتزال في الجامعة أما مايك فكان يتابع دراسات عليا في الجامعه نفسها ويعد أطروحته فيها وهو يكبرها بأربع سنين ،وقد اكتسب خبرة في عمله قبل أن يبدأ بإعداد الاطروحه .وسرعان ماأحبته الأسرة بكاملها وسرت لما خطبت لوسي الية فهو شاب هاديء ومثابر ومحب .لكنه مالبث أن تلقى عرضاً للعمل في افريقيا لسنه واحدة كأستاذ في دار

المعلمين هناك .فأصر على تأجيل الزواج حتى عودته

,وافقت العائلة بأكملها مجدداً مع ان كلير ظلت

تشك في دوافعه من حين الى أخر. ومع ان لوسي

مازالت شابة والسنه سرعان ماتنقضي ،الا ان كلير

أدركت أن غياب مايك بات يقض مضجع أختها.

مضى على سفره ستة أشهر ومن المفترض أن يعود في

الربيع استعداداً للزواج. وخلال هذه المده واظب على

بعث الرسائل الخطية والتسجيلية أيضاً لكن الأوراق لا

تماثل وجوده الى جانبها لذلك أحست لوسي بالوحدة

والملل غالباً.

ومالبثت أن تمتمت وهي تتصنع ضحكة لم يصدقها

أحد:

" لا باس ما دام لا يقابل فتاة أخرى! "

فتبادلت كلير ووالدها النظرات لكن أياً منهما لم يتفوه بكلمة ومع ذلك تكهنا بما يشغل بال كل منهما فماذا لو صحت مخاوف لوسي؟ وأنباهما الارتعاش في شفتيها بالجرح العظيم الذي قد يحدثه فيها ذلك. وهتف جايمي وهو لايبالي إلا بنفسه :

" هل لي بحلوى الشوكولا؟ بالمناسبة ، اقلت لكم ماذا أريد كهدية للميلاد ؟لذا أعددت لائحة ،توفير لوقتكم ولمساعدتكم "

" لا تأتي على ذكر الميلاد حتى. "

ومالبثت كلير أن اطلقت تنهيدة عالية وهي تتذكر كل العمل الذي يستوجبه موسم الاعياد عليها ان تعد لائحة بمهماتها ولكن في الوقت الحالي أرادت أن ترجئ فكرة الميلاد حتى تعتاد عليها.

ثم أمر جورج سامر ابنه الأصغر :

" كُل الحلوى ثم ساعد في تنظيف المادة "

وراحت كلير تراقب جايمي يضيف حصة جديدة من الشوكولا ،وذهنها غائب عنه كلياً في الحقيقة كانت تفكر في دنزل بلاك..سيتطلب منه تجديد "البحيرة السوداء" أشهراً عديدة فهل سيقيم في أمريكا في غضون ذلك ؟لا بد انه تلقى عروض عمل عدة بعد نيله تلك الجائزة .وهي تذكر أنه غادر أمريكا لأن أحداً لم يكلفه بفيلم جديد. فماذا لو تغير ذلك الان ؟حينها لن يضطر الى الانتقال الى هنا مجدداً ولعله سيبيع المنزل ما إن يجددة.

أحست بنبضها يثب مجدداً ،فشعرت بالانزعاج وعضت شفتيها .بما أنها غير معجبة بالرجل ،لم تراها تحفل به؟ وسرعان ماظهرت بوادر كانون الاول فهبت رياح ثلجية من البحر إلى البلدة ،فاكتست هذه منظراً

رمادياً كئيباً وقد وقعت أسيرة سماء تكدست فيها غيوم سوداء تنبء بالمزيد من الثلج. وأخيراً تلقت لوسي أخباراً من مايك .فوصلتها ثلاث رسائل دفعه واحدة بعد أن تاخرت في بريد أفريقيا كالعادة في ذلك الوقت من السنه .

وفيما غمر الحماس والارتياح قلب لوسي ،ظلت كلير على قلقها فتقلبات مزاج أختها الجامح تزعجها ،لأنها تدل على سرعة تأثرها .وتمنت كلير لو أن مايك يعود ال الوطن في وقت مبكر.

ومن بداية هذا الشهر ،أصبحت " البحيرة السوداء" ملكاً لدنزل بلاك مما خلق هياجاً في صحف لندن وشبكات التلفزة المحلية .وانطلاقاً من ذلك ، اجتاح فرق تصوير وكالة كلير ، وحاول أن يقابلها ، لكنها طلبت منهم المغادرة ، بمنتهى البرودة ورفضت الاجابة

عن أسئلتهم ورغم ذلك أذيع خبر عن الموضوع على التلفاز في ذلك المساء.

" لم لم تقابليهم ؟فمن الروعة أن نراك على شاشة التلفاز! "

فأجابت وقد رأت موافقة أبيها واشمئزاز أخوتها :

"هذا يعد من آداب المهنة .فلا يجدر بي أن أتحدث عن زبائني"

واستطاعت كلير أن تودع قسماً هاماً من أرباحها في المصرف .في الواقع ، كانت أرباح الوكالة هذه السنه أوفر مما توقعت ، وبدت في الحالة المادية جيدة جداً فقالت لأبيها :.

"أظننا نستطيع أن نوظف أحداً ليساعدني في المكتب على الاقل بدوام جزئي"

وافق ابوها قائلاً:

"وحينها ترتاحين من العمل في المناسبات ،فأنا أكره أن اراك متعبة بهذا الشكل".

هزت كتفيها بلا مبالاة وأجابت : "أنا بخير".

" لا اريد أن ينتهي بك المطاف كالمسكينه هيلين شيرارد. "

فأجابت وعيناها الزرقاوان تنمان عن غضب عميق :

" لن يحدث ذلك فلا تقلق "

في الحقيقة ،يدفعها تعقلها الى الاحتراس من أي رجل ومنعه من إخضاعها لهذه التجربة ،لاسيما إن كان رجلاً كدنزل بلاك.

في وقت لاحق من الاسبوع ، وقعت على مقال في الصحيفة عن النجمة التي مثلت في فيلم دنزل بلاك الأخير .كانت الصورة تبينها على نقالة ، في عيادة في لوس أنجلوس ، وقيل إنها تناولت جرعة مفرطة من

الهيروين، حتى شارفت على الموت .ونقلاً عن "صديق مقرب" تبدلت حالة الممثلة منذ انتهائها من تصوير فيلم دنزل بلاك.

وأضاف الصديق:

" لايعود السبب الى المخدرات بل الى الحب فلم يرها كثيراً خلال الأشهر المنصرمة أما هو فقد أنهى الفيلم وأنهى معه علاقتهما مما جرح قلبها "

حدقت كلير في الصورة المبهمة ،وتراءى لها التعبير المأساوي على وجه الممثلة , وفي عينيها السوداوين الشبيهتين بالأشباح ألم تبد هيلين على هذه الصورة مؤخراً؟ترى ماذا يفعل هذا الرجل في النساء اللواتي يغرمن به؟

وفي عطلة نهاية الاسبوع ،استأجرت كلير الفيلم من متجر الأفلام المحلي ، وشاهدته مرات عدة.سحرها

الفيلم نفسه وجمال الممثلة ، وكان عليها أن تقر بمهارة دنزل في الاخراج ، فالتصوير جميل ،بل ساحر ومختلف عن اي فيلم شاهدته من قبل . أما المشاهد الحميمية ،فقد صورت برقة زادت جوها الحميمي. وقبل أن تخلد للنوم ،استلقت على السرير في الظلام وهي تفكر في الفيلم وفي دنزل بلاك . ولما شاهدت الفيلم ثانية ،استنتجت أنه رجل ذكي ومعقد وخطير. وحين أرجعت الشريط الى صاحب المتجر ،سألته إن كان يملك أفلاماً أخرى لدنزل بلاك,فسلمها شريطاً قضت الليلة التالية في مشاهدته ،مرات عدة أيضاً .وبعد ذلك شاهدت كل افلامه في سلسلة سريعه ، وهي تحاول أن تكتشف شخصيته من خلال أسلوبه في الاخراج .وهي المرة الأولى التي تولي فيها مخرجاً كل هذا الاهتمام ،أو تحاول سبر أغواره من خلال نوعية

العمل الذي يقدمة وأدركت أن في أفلامه أدلة موزعه هنا وهناك.

وفي عشية الميلاد ،أغلقت الوكالة مبكرا أي ما ان تجاوزت الساعه الربعه بقليل .ثم شقت طريقها في الشوارع المكتظة بالمارة وراحت تسرق اللحظات الأخيرة بحثاً عن هدايا الميلاد.

راحت تحدق في واجهة أحد محال الملابس الداخلية الغالية الثمن ، حين أحست بشخص يتوقف وراءها .ورفعت نظرها بشكل غريزي الى الواجهة الزجاجية لتشاهد صورة الغريب ،لكنها لم تر أحد. وإذا بصوت يرتفع من وراءها :

" مرحباً"

تصلبت ونظرت خلفها ، ولما عرفت ذلك الوجه سرت في جسمها قسعريرة باردة. وكيف لها ألا تتعرف

إلى ذلك الشعر الأسود الناعم الذي يتدلى حتى الصدغ ، وهاتين العينين الرماديتين الثاقبتي النظر وهذا الفم القاسي.

وبقيت لثانيه عاجزة عن الحركة لا بل مشلولة وكأنها في كابوس تواجه خطراً تعجز الكلمات عن التعبير عنه ، وقد جمدها رعب كلي .وقفت تتفرس في هاتين العينين وهي تشعر أن قوة الارادة فيهما تكاد تحرقها.

وسألها بذلك الصوت الغامض العميق:

" لم تنسيني ،أليس كذلك ؟ "

في تلك اللحظة تنمت لو تستطيع أن تمئ برأسها وتجيبه انها نسيته .لكنها لن تكون الا كذبة تعرف تمام المعرفة أنه لن يصدقها.

على أي حال لم ينتظر أي اجابة بل تابع بهدوء :

" ماذا ستشترين؟ القميص الابيض المحتشم أم ثوب النوم الفيكتوري الفضفاض الذي يزرر من الرقبة حتى القدمين ؟ فقد رأيتك تنظرين إليهما .لماذا لا يدفعك الحماس مرة الى شراء ثوب مثير كهذا الثزب الاسود ؟فباستطاعتي أن أتصورك فيه "

ثم ابتسم ابتسامه ساخرة عريضة زادتها ضيقاً وأحست بلون حارق يجتاح محياها.

طرفت عيناها ، وحاولت ا، تتخلص من السحر الذي يطوقها فيما خفقات قلبها تزداد سرعة وأنفاسها اضطراباً. وسرعان ما أحست وكأنها تستيقظ من سبات شتوي وبدا لها أن أعضاء جسدها كاملة أخذت تعمل تدريجياً بعدما توقفت مدة قصيرة . وغمرها شعور قوي بالدوار ،جعلها تستشيط غضباً فردت عليه بحدة :

" لا أتسوق لنفسي ،بل أبتاع هدايا الميلاد! "

لم تكن تثق أن باستطاعتها المحافظة على أدبها طيلة فترة حوارهما .ولذا كان عليها ان تبتعد عن التأثير الطاغي الذي يتملكها ما إن تقترب منه. وهكذا فعلت حتى كادت تصطدم بباب المتجر .فتبعها بدوره ،ورجلاه الطويلتان تسمحان له بمجاراتها من دون عجلة .ثم أضاف :

" لأختك الصغيرة الجميلة؟ "

ولما سمعت أنه مازال يذكر لوسي تملكها الاسف .وادركت باشمئزاز أن عليها أن تحول دون لقائه أختها مجدداً .فآخر ماتريده هو أن يلحق الأذى بها لاسيما أنها مازالت حساسة في الوقت الحالي. وقد يطيح هذا الرجل بعقلها ويجرحها كثيراً تماماً كما فعل بهيلين

والنجمة السينمائية .لكن كلير مستعدة لقتله إن هو اقدم على ايذا اختها.

توقفت عندباب المتجر وسالته:

"أنت لاتعيش في "البحيرة السوداء" اليس كذلك ؟ فقد سمعت ان البنائين باشروا عملهم قبل رأس السنه.

"

فأجاب بجفاء :

" معلوماتك دقيقة جدا. من المدهش كم تنتشر الاشاعات في بلدة صغيرة . وبالحديث عن الاشاعات ،أود ان اشكرك لأنك رفضت التحدث الى الصحافة

"

" لقد أخبرني احد الصحافيين ويبدو ان اهتماماتهم قد خبت الان.ولكن ،في حال تعطشوا الى المزيد من المعلومات مجدداً سأكون شاكراً لو حافظت على

تكتمك .ففي الاشهر القليلة المقبلة سأكون مكباً على أعمالي ولا أريد أن أضيع الوقت مع وسائل الاعلام "

أومأت ببرودة وقالت:

" أفهم ذلك إنما أستنتج أنك تلجأ اليها حين تخدمك "

فاحتدت في عينيه نقطتين سوداوين وأجاب :

" نعم،فهي شر لابد منه "

" وبالحديث عن هذا عرفت من الصحافة أنك فزت بجائزة عن فيلمك الاخير. "

كانت تنظر الى الاسفل في أثناء حديثها لكنها ظلت تراقبه من خلال أهدابها وأردفت :

" أهنئك "

فراقبها هو الآخر وقد ضاقت عيناه وعلت السخرية محياه وقال:

" شكراً "

وازدادت كلير جرأة في كلامها :

" من المؤسف أن نجمتك باتت متوعكه منذ انتهاء الفيلم! "

واذا بها تلاحظ ملامح وجهه تشتد وفمه يقسو فيما عيناه الرماديتان يكسوهما الجليد ومالبثت أن أشاح بوجهه بعيداً.

" من حسن حظي أنني رأيتك .فقد مررت بمكتبك منذ قليل ،أملاً أن تعثري لي على مكان أقيم فيه لستة أشهر أو سنة، بانتظار أن يجهز المنزل. تكفيني شقة ،اوحتى كوخ صغير. "

فردت كلير باستمتاع:

" أخشى ان ما من مكان مناسب في سجلاتي في الوقت الحالي .لم لاتبحث على طول الشاطيء، أو ربما في نواحي يورك؟ "

فرماها بنظرة قاسية وقال:

" أحتاج الى السكن بالقرب من "البحيرة السوداء" طالما أن اعمال التجديد تجري هناك "

عندئذ ابتسمت كلير ببرودة وأجابت:

" حسناً، إذا صادفت اي مكان فسأعلمك .هل تقيم في فندق جيمي ستور مجدداً "

ومضت عيناه:

"كلا ،اذا يبدو ان لاغرف شاغرة فيه .ففي الوقت الحالي،تقيم هيلين هناك، ومامن غرف اضافية.لكنني اقيم هنا في البلدة. "

بالكاد يعد هذا مفاجئاً لاسيما بعدما سببه لهيلين!

فقالت والبرودة البارعة نفسها في صوتها ووجهها:

" انا متاكدة من انك ستكون مرتاحاً تماماًهناك ،والان علي أن أذهب الى اللقاء "

وفيما هي تستعد للذهاب ،تناهى اليها صوت لوسي ،فأحست بقلبها يقع كالحجر:

" كلير،انتظري دقيقه،كلير..."

نظرت حولها وهي تعض شفتها ،واذا بلوسي تعبر الشارع، وهي تتفادى السيارات بأبواقها الصاخبة ،وتلتف حول حافلة ، راح ساقها يزعق فيها بغضب .

ولما وصلت أخيراً ،قالت بلهاث :

" انا محظوظة ...لأنني لمحتك ...أيمكنك أن تقرضيني عشرة جنيهات ؟لقد نفذت النقود مني، ودفتر شيكاتي

ليس بحوزتي ،لكني سأحرر لك شيكاً ،ما إن نعود الى المنزل"

" حسنا ً"

وراحت كلير تبحث في سرعه في حقيبتها ، حتى وقعت على العملة المناسبة.

–" ليك المال. "

وان كانت تأمل من السرعه أن تحول دون لقاء لوسي بدنزل بلاك ،فقد خاب املها .اذ رمقته لوسي بنظرة مهذبة ،ثم عادت وتفرست فيه .وفجأة علا التورد وجنتيها:

" أنت السيد بلاك، اليس كذلك؟ مرحباً صرت أقرأ عنك في الصحف بعد لقائنا في المرة الماضية.ولا أصدق أنني لم اتعرف اليك حينها.لكن فكرة تواجد

مخرج مشهور في غرينهاوي لاتصدق. فلم يخطر الأمر في بالي ،كما أن كلير لم تتفوه بكلمة واحدة "

فتمتم وقد لوى فمه بسخرية:

" أختك امرأة كتومة جداً "

ثم رمقها بنظرة جانبية تعمدت تجاهلها وأضاف:

" وانا لا اود أن أثير اهتمام وسائل الاعلام في الوقت الحالي"

" لا طبعاً.وافهمك جيداً. "

وسالته بحماس :

" انت لا تعيش في "البحيرة السوداء" بعد، اليس كذلك؟ "

فأجابها:

" كلا،لكني أبحث عن مكان أقيم فيه بصورة مؤقته في البلدة .فان كنت تعرفين مكاناً.."

" في البلدة؟ "

وحاولت لوسي بجهد أن تفكر في اي اقتراح ،ثم أردفت:

" اتقصد منزلاً ؟ الاتستطيع كلير أن تعثر على منزلٍ؟ "

فرد:

"كلا، للأسف "

وسرعان مالتمعت عينا لوسي وقالت:

" وجدتها! لي صديقة تملك منزلاً، ووقد أحالته شققاً. وقد تكون إحداها جاهزة للإيجار في الوقت الحالي.اتريدني ان اسالها ان كانت مستعدة لاستقبالك؟ "

ولما تأملته كلير،لاحظت انه لا يبدو متحمساً للفكرة. وسألها ببطء:

"هل هذه الشقق مستقلة ؟اعني ،الكل منها بابها الأمامي؟ "

" نعم ، وفي الواقع ،ليست الشقة كبيرة. بل تضم غرفة واسعة وحماماً صغيراً. "

ثم ابتسمت ابتسامه مشرقه واضافت :

" ولكن في حال توافرت ،لن يضرك أن تلقي النظر عليها ،اليس كذلك؟ "

فضحك واجاب لوسي:

" صحيح "

واجالت لوسي بصرها في الشارع العام:

" ترى ،اين احد الهاتف الاقرب؟قد اقع على واحد في مكتب البريد. سأتصل بجيني ،وان كانت الشقة شاغرة ،سأصطحبك اليها الان، لتتفحص المكان .انتظرني هنا ،فلن أتأخر. "

ولما اندفعت الى مكتب البريد ،قالت كلير بغضب:

" لا اظنها فكرة جيدة .فهذا النوع من التسويات محفوف دائماً بالمشاكل. "

فتمتم:

" أوافقك الراي،لكنني لا أريد ان اقضي الاشهر المقبلة في فندق .وان لم يكن لديك حل أفضل ،فقد اجدني مضطراً الى قبول عرض اختك .وبالمناسبة .هي تدخل البهجة الى القلب،بالاضافة الى أنها جميلة. أحب وجنتيها ،وذلك الفم الممتلئ الواسع ، واحب جمالها المليء بالحيويه والنابض بالحياة. "

وما كان من كلير الا ان عضت شفتها السفلى ، وقد غمرها فجأة شعور بالخوف على لوسي. فهي لا تريد أن تماثل نهايتها نهاية هيلين، وتلك الممثلة المكسيكية

الايرلنديه، فتمسي شاحبة ،وتفتقر للحيوية، فيما حياتها حطام بحطام.

وتمتمت ببطء :

" بالطبع ،مازال أمامك كوخي "

فحدق فيها وهو يرفع حاجبيه:

" ماذا؟ ذلك الذي لاسقف له؟ "

" لقد اصلحت السقف منذ اسابيع خلت.في الواقع، انتهى معظم العمل الاساسي،وجهزت المنزل بالتدفئة المركزية والاسلاك الكهربائية الجديدة. "

بدا مندهشاً وهو يسالها :

"أقمت بكل ذلك بنفسك؟"

فردت وقد فرغ صبرها:

"كلا، لقد تلقيت مساعده من بناء اعرفه،لقاء ثمن بخس ،نظرا الى انني دبرت له العديد من الاعمال

.كما أنعمت علي هذه السنه بأرباح وفيرة،واصبحت من الانشغال الى حد افتقرت فيه الى الوقت للعمل في الكوخ.لكن تم تجديد الديكور في بعض الغرف ، كما ان انابيب المياه صارت في حال سليمة "

فاجاب دنزل بلاك بنبرة تعكس تسلية واضحة :

" الهذا لم يبادر البناء العمل في "البحيرة السوداء؟ الانه منشغل بالعمل لحسابك؟ "

" لكنه ليس البناء نفسه.فالرجل الذي استخدمه لا يطالب بأجر مرتفع.وهو يعمل مع اخيه، وعلى الارجح لن يتمكن من تولي أمر مشروع بحجم "البحيرة السوداء"،فقد يستلزم ذلك منه سنوات"

" حسنا هل استطيع ان ارى كوخك ؟الان؟ "

" الان؟ لكن الوقت متأخر والظلام يكاد يحل.اخشى أن عليك الانتظار حتى مابعد عطلة الميلاد.

" لكنني لا اريد الانتظار .اصحبيني الى هناك الان. "

" لا استطيع.. "

وقبل ان تكمل جملتها ،رأت لوسي تسرع نحوهما فقالت في عجلة :

" لاتقل لأختي انك ستستخدم منزلي ،فانا...لا اريدها أن تعرف ...وذلك...لأسباب خاصة لا استطيع مناقشتها "

واحست بعيني دنزل بلاك الرماديتين الثاقبتين تحرقانها، وتقرآن الافكار في عينيها، فأشاحت بوجهها المتوهج .في الواقع ،لم تكن تريده ان يخبر لوسي خوفا من ان تعرف مكانه ،فتزوره كلما خطر لها ذلك.بل أرادت ان تبعد دنزل بلاك عن طريق لوسي قدر استطاعتها.

اجابها بنعومة:

"لن اخبرها ،ان رافقتني لرؤية الكوخ الليلة "

فأحست أنها تريد صفعه وهتفت :

" هذا مستحيل ! "

عندها ،هزكتفيه استهجانا وقال:

" بالطبع، المسأله تتعلق بك،اذاً، هل اخبر لوسي؟ "

ونظرت اليه والشرر يتطاير من عينيها :

" هل تقوم بابتزازي؟ "

فالتمعت عيناه بتسلية لا اثر للندم فيها :

" اذا شئت.ففي عالمي ،تتعلمين ان تستعملي الاسلحة المتوفره كلها.انت تملكين ما اريده ،وفهمت أنك لاتريدين ان تكتشف اختك مخططاتك لسبب معين ،لن اتكهن به الان .وكل ماعرضه عليك هو صفقة ،فما ردك؟ "

باتت لوسي على بعد خطوات فقط ،لذا كان على كلير ان تفكر بسرعة وفي النهاية أومات ، ووجهها تكسوه حمرة الغضب.

" حسناً.اوافق على هذها الصفقة. "

" اذا .مري بي بعد ساعة. "

وقبل ان تتمكن من الرفض ،اقبلت لوسي لاهثة:

" كانت ردة فعل جيني عنيفة,واخبرتني ان تحضر اليها تواً.هناك شقتان شاغرتان، ولكنهما في الطابق الاعلى،يمكنك ان تحصل عليهما معاً،أوعلى واحده منهما فقط. ولكن اخشى أن مامن مصعد ،وواضح ان السلالم كثيرة... "

رأته كلير يعبس بشدة ثم يهز رأسه :

" السلالم كثيرة؟كلا ،اخشى ان لامجال لاستئجار الشقة اذا .ولكنني اشكرك لتكبد كل هذا العناء

يالوسي ،واجدني مضطراًللرفض. على اي حال ،لاتقلقي سأجد مكاناً آخر. والان علي الذهاب اراكما لاحقاً، من دون شك ".

وقبل ان تستوعب لوسي ماحدث،كان قد رحل ،فالتفتت الى كلير بخيبة امل:

" هـ، يالهي ،ستحزن جيني بشدة لانه لن يأتي .فقد كانت متحمسة جداً، نظراً الى انها تهوى الافلام،وتعتقد انه مخرج .ولما اتصلت بها،اخبرتني انها ستجهز المكان. "

" اذا من الافضل ان تتصلي بها مجدداً،لتوفر على نفسها هذه المشقة. "

فتنهدت لوسي بعمق وقالت : " نعم،يجدر بي ذلك "

وفيما كانت لوسي تعود ادراجها الى مكتب البريد ،هتفت كلير : " اراك بعد قليل "

ثم ذهبت في الاتجاه المعاكس .كان عليها ان تستقل سيارتها وتترك المنزل قبل ان تعود اليه لوسي ، والا اضطرت الى الاجابة عن اسئلة ليس في نيتها ان تجيب عليها.فما كان منها الا ان مشت سريعاً،وهي تقطب جبينها بغضب.

انها ملزمة بتأجير الكوخ ،كي يقيم فيه دنزل بلاك فتره له ان يحدد مدتها .وهذا آخر ماتتمناه.ولكنه بطريقة او باخرى ،أحبط مناورتها .واحست كلير أنه غالباً ما ينجح في مساعيه .لكنها في المستقبل ستراقبه عن كثب ،ولن تجعه يلحق بها الخسارة مجدداً

---

---

---

# 3- مصاص الدماء

يقع كوخ كلير على بعد نصف ميل من البحيرة السوداء ،وقد بني وفق الطراز الفيكتوري،من الصوان والحجر ،ويعلوه سقف رمادي من الاردواز.شيده في الاصل فلاح محلي لايواء خرافه ،وهو قريب من المراعي حيث ترعى النعجات ،بانتظار أن تضع صغارها في الاشهر الباردة الاولى من الربيع. يضم الكوخ أساساً غرفتين وحجرة لغسل الاطباق في

الاسفل ،وغرفتين اخريين في الاعلى .لكنه خلا من اي حمام او حتى مغسلة .وقبل سنوات شب حرق هائل في الكوخ ، فترك فترة طويلة خاليا،متداعيا قبل ان تقدم كلير على شرائه .ولما كان السقف منهاراً.والنوافذ مهشمة وورق الجدران مقشر، تمكنت كلير من شرائه بمبلغ زهيد ، وقررت أن تعيد تصميمه وفق رغبتها.

وقف دنزل بلاك في غرفة الجلوس ,يتامل الجدران الناصعة البياض، والموقد الاردوازي الذي بقى سالما رغم الحريق ،اضافة الى قطع الاثاث الموزعه في ارجاء الغرفة ,التي اشترتها كلير بثمن بخس من المزادات .وما لبث ان تمتم:

" هذا مثير للاهتمام! ليس حميمياً تماماً،ولكنه مثير للاهتمام ،لاسيما أنه ذوقك. "

فتذمرت بدفاع :

" لم انته من الديكور بعد، اما الاثاث فمؤقت،وذلك حتى اقرر مظهر المكان النهائي "

" له جو خاص .فهذه المصابيح مثلا تناسب "البحيرة السوداء " بل تبدو وكانها تنتمي اليها.

فاحمر وجه كلير وقالت:

" لم ات بها من هناك، اذا كان هذا ماتلمح اليه "

رمقها بعينين باردتين ،واضاف:

" لم افعل .لا تردي بنزق على كل ما اقوله ،فذلك اشبه بمحادثة مخلوق شرس"

وقبل ان تبدي كلير اي رد فعل ، اردف بنعومه :

" لكني مستعد لتقديم عرض "

فتصلبت قبل ان تهتف: " ماذا؟ "

أجابها بصوت رقيق: " بشأن المصابيح "

" آه! "

استرخت مجددا ،انما قبل الاوان اذ سالها وفي عينيه سخرية باردة تتعارض مع الدم الحار الذي صبغ بشرتها: "وماذا ظننت انني اقصد؟"

ومرة اخرى ،لم تملك وقتا للاجابة اذ بادرها بسؤال جديد:

" ماذا عن الحرارة ؟"

فرمقته بارتباك ،قبل ان يفسر كلامه :

" ماذا عن نظام الحرارة في هذا الكوخ؟ "

" تنبعث التدفئة المركزية من الموقد في المطبخ . "

ولم تستطيع كلير ان تعرف تماما هل يطلق ملاحظات ذات حدين ، ام انها تتخيل الامر ليس الا.اهي شديدة الحساسية اليوم.ام انه فعلاً يتسلى على حسابها ؟ومهما كان السبب ،فقد دفعها الانفعال الى

الخروج من غرفة الجلوس ، والتوجه الى الغرفة المقابلة ، التي تضم المطبخ ومائدة الطعام .وما كان منه الا ان تبعها ،ثم توقف فجأة وقد علا حاجباه دهشة.

" هذه غرفه مختلفة .أكاد احس انني بحاجة الى نظارات شمسية لشدة النور هنا؟

بالفعل ،كانت غرفة ذهبية دافئة .فالجدران مكسوة بورق الصنوبر الذي يحفظ الحرارة ، ويناسب الطاولة والكراسي المصنوعه من خشب الصنوبر ايضا.والخزانه الطويلة تحوي عدداً من الاواني الخزفيه الصينيه التي دأبت كلير على جمعها على مر السنين .اما ستائر النوافذ .فتزينها تفاحات حمراء لماعه واوراق خظراء كبيرة ،تضفي على الغرفة جوا طفولياً،مفعماً بالحيويه ونابضاً بالفرح. بدا ذاهلا لا يصدق عينيه وهو يقول:

" أهذا ذوقك؟ "

ودت كير لو ترد بالايجاب ، لكن بدا من الواضح انه لن يصدقها .وكم ازعجها ان يكون على حق! فهي لاتريد ان يكون رايا عنها .غير انها اضطرت ان تقر بالحقيقة على مضض:

"في الواقع تركت لاختي حريه انتقاء الاثاث والستائر"

فأعلن ،وقد رفع حاجبيه الاسودين بسخرية :

" آه...انها لوسي اذا..وهي نسخه كبيرة لأليس في بلاد العجائب ! نعم هذا اكثر منطقية"

واستدارت كلير وخرجت من الغرفة ،ثم التفتت الى الخلف وقالت :

" في الاعلى .غرفة مفروشة واحدة "

"لكني احب هذا الخشب المكشوف ،فهو يبدو رائعاً.

"

" يعني ذلك انه يحتاج الى ان يصقل جيداً.اعرف امراه بالقرية تقوم باعمال التنظيف ،لكنها تطلب اجراً مرتفعا، نظرا الى انها تحتاج لسيارة لتصل الى هنا.وقد نظفت المنزل بعد ان غادر البناء! لذا فهي تعرف المكان.

" هل يمكنك ا ن تطلبي منها تنظيف المنزل مرة في الاسبوع .اظن ذلك يكفي ،فالمكان ليس كبيراًمارأيك؟ "

" حسنا، ساتصل بها ، واطلب منها ان تخابرك ، في حال قررت أن تستأجر المكان .

" لقد سبق وقررت ،ساستاجره لستة اشهر. "

وقف في غرفة النوم الاساسية ،وراح يتامل الجدران البيضاء العارية. والسرير الفردي الضيق ، ثم نقل ناظريه الى الخزانه التي تحتل جانبا مهما من الحجرة

.كما لاحظ كرسيا مندا وحيدا من المخمل الزهري اللون .ومرآة من الطراز الفيكتوري ،ابتاعتهما كلير من البلدة في العام الفائت.

بدأت كلير تشكو ،وهي لاتزال تمانع فكرة استئجاره كوخها:

" اخشى انك لن تكون مرتاحا هن ا"

فرمقها بنظرة جافة وعلق :

" بل سأكون بخير،مادمت لاتمانعين ان اجعل المنزل اكثر صلاحية للسكن ، اي ان اضفت بعض لوازمي الخاصه كرسوماتي وكتب وجهاز موسيقى "

ولم يكن باستطاعة كلير أن تبدي اي ممانعه .فاكتفت بتأمله وهو ينتقل الى النافذه ،لينظر الى البستان المظلم ،فيما ظله الطويل ينعكس على الحائط الابيض بطريقة مخيفة.

في الحقيقة ،لم يكن من السهل عليها ان تفكر في انه قد يعيش هنا،في البيت الذي اعدته لنفسها .فمنذ اشترت الكوخ ،وهي تشعر بالحماس لهذا التصرف المليء بالتحدي الذي اقدمت عليه.ولما وصل الخبر الى اسرتها اجفل اهلها ،ثم مالبثوا ان وجدوا الفكره مسلية ،قبل ان يشعروا بالسخط مجدداً.فكيف تقدم على شراء كوخ متداع ؟ومالذي دعاها الى ذلك بحق السماء ؟بل لماذا تحتاج الى منزل مستقل ؟ فلديها منزل ،يجمعها بأبيها واخويها .اما لوسي ،فستتزوج قريباً وترحل لتعيش مع مايك في مكان ما. وحينها من سيعتني بمنزل العائلة ؟ من سيكون أما حنونا لروبن وجايمي؟وقرأت كلير في اعينهم انها لاتستطيع الرحيل ،فهم يحتاجون اليها.

ولما كانت كلير تعرف ذلك.فارقتها كل نيه في هجرهم .فهي تتمتع بحس قوي بالمسألة وتحب عائلتها ، لكن فكرة الحصول على منزل مستقل ظلت تعن على بالها.

واصبحت ،كلما احتاجت الى الهروب من مشاكل الواقع،تلجأ الى هذا الكوخ .لذا ،كرهت أن ترى دنزل بلاك يقيم فيه.وعرفت انه ،لو سكن فيه اولا فسيراودها شعور غريب كلما اقبلت الى هذا المكان.

سألها : " ايمكنني الانتقال الى هنا حالاً؟ "

فنظرت اليه كمن لا يصدق :" ماذا تقصد بحالاً؟ "

" اقصد غداً "

" لكن غدا يصادف عيد الميلاد ،الن تكون مشغولاً برؤية أهلك؟ "

فقال بايجاز وبنبرة من يوصد في وجهها باباً: " لا عائلة لي "

وتحرك فضولها على الفور.امات أهله ؟اليس لديه إخوه او أخوات؟ ولكن ،لابد ان له عمه او خال في مكان! فكيف لاحد ان يكون من دون عائلة على الاطلاق؟

ومالبث ان اعلن :

" لم نأت على ذكر الايجار بعد. فكم تريدين في الشهر؟ "

لم تكن كلير فكرت في الموضوع ،لكنها تعرف المبلغ المطلوب مقابل ملكيات كهذه .لذا لم يتطلب منها الجواب ثوان،وتعمدت أن تطلب منه ايجاراً مرتفعاً،عساه يغير رأيه.لكنه أوما براسه:

" حسنا! قد نطلب من هيلين أن تجهز لنا عقد ايجار لستة اشهر. "

فأجابت وقد ازعجها أن يقبل من دون أن يطرف له جفن:

" فلندع ذلك الى مابعد رأس السنه .فكما تعلم ،لم تجد احداً في المكتب قبل ذلك الوقت .كما أن نزل "بلاكبور" يجيد الاحتفال بالميلاد وستكون مرتاحاً اكثر هناك "

عندئذ رد بنبرة فظة:

" أنا اكره الميلاد، واتحرق شوقاً الى تفويته "

وما كان من كلير الا ان حدقت فيه بكآبه وسالته:

" أتكره الميلاد؟ اتعني انك لاتحفل به اطلاقاً؟ "

" بالنسبة لي،هذا اليوم يماثل غيرة من الايام. وهكذا ،سأنتقل الى هنا في الغد ،وامضي الوقت في ترتيب

كتبي ورسوماتي بسلام. وسأعد حساء وسلطة للغداء.ولن اشاهد التلفاز ،او استمع الى المذياع طيلة ذلك الوقت ،بل سأكتفي بالاستماع الى الموسيقى أثناء عملي.

فتمتمت :" أنا اسفه "

واذا بعينيه الرماديتين تلمعان بذلك الوميض الاسود الذي عرفته من قبل .وقال:

" اذا كنت تاسفين من أجلي فلا داعي لذلك ،بل اشعري بالاسف على نفسك .ساكون سعيداً جداً هنا، فيما اتجاهل الميلاد.ففي ذهني ذكريات بغيضة عن الميلاد التقليدي ،وانا متأكد من ان يومي سيفوق يومك تسلية وهدوءاً "

وراحت كلير تفكر في كل العمل الذي ينتظرها ،من جلبة الميلاد الصباحية ،الى ايقاظ الصبيان ،لمشاهدة

ترانيم على التلفاز.، وكانت تحرص على ذلك. كي يتسنى للصبيان أن يسمعاها ،فيما يقومان بمساعدتها على مضض ،ويطلقان الشكوى ،وعيونهما تتألق حماساً . كما تذكرت هدايا الميلاد وهي تفتح ،ونباح الكلب وقد أثير حتى الجنون، بسبب هذا النشاط غيرالمألوف. واستعادت رائحة ديك الحبش المحروق في الفرن،فيما هي تسرع غاضبة لانقاذه ،وسط ضحك الصبيان.وعادت اليها ذكرى تدافعهما أثناء ترتيب المائده ،بينما لوسي تقدم الطعام ،وجدالهما وتشاجرهما ،قبل أن يتركا لها الفضلات لتنظفها .عندها ،يعمد أبوها الى النوم في كرسيه الهزاز ،فيما تقوم بغسل الاطباق مع لوسي ، ويخرج أخواها في نزهة في جو بارد جداً يصرفان فيها تلك الطاقة الزائدة كلها.ويهدأ

البيت أخيراً حوالي الساعه،فترتمي في كرسي قبل أن يعودا

مطالبين بشطائر ديك حبش ،وحلوى الميلاد. رفعت نظرها الى دنزل بلاك ، وجهها البيضاوي الهاديء مفعم بالدفء والمرح.

" سيكون يومي ساحراً "

فتبدل وجهه وتعمد ان يتفحصها بنظراته:

" ترى،فيم كنت تفكرين؟ في رجل؟ أهو عشيقك؟ لاترتسم هذه النظره على وجه امرأة الا حين تفكر في رجل "

عندئذ تألقت عيناها بوميض جليدي، ثم أشاحت بوجهها بعيداً،وحانت منها التفاته الى ساعتها بحركة تنم عن فروغ صبر.

" اريد أن اعود الى منزلي ياسيد بلاك .قد لاتحب الميلاد ،ولكنني أحبه .ومازلت بحاجة الى عدد من الهدايا،عدا عن المهمات التي علي انجازها قبل ان آوي الى الفراش الليلة.

فعلق:

" كما انك لاتحبين الاجابة عن الاسئلة "

تجاهلته، وتوجهت نحو السلالم ،ورأسها يضج بمختلف الاعمال التي عليها أتمامها ،من الخضار التي تحتاج الى التقطيع والتخزين في البراد،الى قالب الحلوى الذي عليها تحضيره.

ومع ن كلير تحب الميلاد ،الا انه يترافق عادة مع اعمال كثيرة ،لا يساعدها فيها احد.عادة ،يخرج ابوها مع اختها واخويها الليلة لينشدوا ترانيم الميلاد حول شجرة الميلاد الضخمة في ساحة البلدة. وهي عادة

درج عليها أهالي البلدة عشية الميلاد بغية جمع الاموال للمؤسسات الخيرية المحلية.والاستمتاع بوقتهم.وكانت غالباً ما ترافقهم، لكنها الليلة لا تملك وقتاً لذلك أبداً. وبلغت بها العجلة حد الانزلاق على الخشب المصقول للسلالم والوقوع الى الامام .وكادت تقع بقوة لو لم يمسك بها دنزل بلاك، ويحيط خصرها بذراعيه . واذا بقلب كلير يخفق بين أضلعها تحت تأثير الصدمة .وبقيت ثانية أو اثنتين واقفة في مكانها ،لاتاتي حركة ،فيما هو يبقيها بين ذراعيه، ولا يسمع الا نبضات قلبها. ومالبث ان مال اليها ،فأحست وكانه ينقض عليها،فيما هي عاجزة ،لاتقوى حراكاً.واذا بوجنتيه تلامسان خديها ،حتى شعرت ببشرته باردة ،ناعمة فسرت في جسمها رعشة حين خيل اليها انه سيعانقها. لكن كل مافعله هو سؤالها:

" هل أنت بخير؟ "

وكان السؤال من العنف بحيث انتشلها من غمرة النشوة وأعادها الى أرض الواقع.فحررت نفسها من قبضته بارتجاف ،ثم نزلت الدرجتين الباقيتين من السلم،وهي تقول بصوت أجش:

" نعم ،اشكرك "

واسرعت الى الباب الامامي ودنزل بلاك يتبعها من غير أن يكلف نفسه عناء اسراع الخطى.

ولما عادت كلير الى سيارتها ،تنفست الصعداء،ثم انطلقت بعيداً.لكن سعادتها كانت لتصبح أضعافاً لو تخلصت من هذا الراكب ما ان تبلغ البلدة. لاسيما ان وجودها وحيده معه هو بمثابة تجربة مرهقة للأعصاب. وفيما كانا يسيران في شوارع البلده،وقد

اضاءت انوار العيد المتاجر،نظر اليها دنزل بلاك بجفاء،وقال:

" انظري الى كل هذه المتاجر بثلجها الزائف واشجار الميلاد! بات الميلاد مجرد سلعة تجارية ،ولا يحمل اي معنى ديني منذ زمن . "

فرمقته كلير بنظرة جانبية باردة:

" هذا بالنسبة اليك ربما،لكن عائلتي تواظب على زيارة الكنيسة . وسنحضر قداس منتصف الليل .ونحن غالباً ما نصلي عشية الميلاد، فهذا الطقس الديني هو الاحب الى انفسنا .وتشترك لوسي واخواي في التراتيل ،وتكون الموسيقى رائعه دائماً. "

" دعيني اتكهن ...انها موسيقى آلات الغيتار. "

أثارت نبرة الاحتقار في صوته سخط كلير ،فردت :

" كلا،لطالما كانت موسيقى الميلاد تقليدية ،وتتالف من ترانيم الميلاد ،او اناشيد لاتينيه قديمة وكلاسيكية،ونحن نملك آلة أرغن ممتازة. وتقول لوسي انهم سيغنون الليلة لموزارت وبليسترينا. "

ثم توقفت عن الكلام وخففت سرعتها ،قبل أن تشير بيدها الى اليسار ،وتضيف:

" هاهي الكنيسة .انها مصدر فخرنا ،فهي واحدة من ارقى الكنائس في هذه الناحية من انكلترا.

مال دنزل بلاك الى الامام ليحدق في المبنى العالي الذي يماثل مباني القرون الوسطى ،ببرج ناقوسه الذي يعانق السماء الحالكه ،وبسقفه المقنطر ، وجدرانه المبنيه من حجر الصوان الرمادي. ويمتد حول المبنى فناء أخضر صغير يحيط به سياج حديدي من العصر

الفيكتوري ،فيما الاعشاب تنمو حول الاضرحة القديمة ، التي تظللها أشجارمعمرة.

" لم لا تأتي الليلة وتستمع الى الأناشيد؟ "

وما أن تفهوت بالدعوة حتى راته يقطب جبينه .

" لا اظن ذلك ،شكراً "

" أخائف أنت؟ "

رماها بنظرة من عينيه الضيقتين وسألها: " ومما أخاف؟ "

فأجابت بنعومه :

" من السماح لروح الميلاد بالتغلغل فيك "

لوى فمه ،فيما ومضت عيناه وأجاب :

" ربما ،وأنت ،مما تخافين؟ "

زفرت بارتياح،وأنكرت وهي تشعر بالتورد في خديها:

" انا لا أخشى شيئاً "

فسألها بسخرية:

" حقاً؟ شعرت أنك كنت خائفة مني في كوخك "

تصلبت ،قبل ان ترد:

" اذاً كنت مخطئاً.فأنا لا اخشاك ياسيد بلاك،وانما احذر منك وحسب ، فلقد رأيت التأثير الذي تحدثه ،واعرف من اي نوع انت.ولانية لي في ان اصبح احدى ضحاياك "

ظهر الغضب على ملامحه،وأظلمت عيناه وهو يسألها :

" احدى ضحاياي؟ماذا تقصدين بحق الجحيم؟ "

ولما كانا بلغا بلاك بور ،توقفت كلير عند المدخل الرئيسي وأعلنت وقد اشاحت بوجهها عنه:

"ها قد وصلت ياسيد بلاك "

لكنه لم يترجل من السيارة ، بل لبث فيها ،وهو يتفرس في الوجه الذي بقي يتفاداه.وبعد دقيقه ،قال بجفاء:

" لست متأكدا عما تتكلمين ،لكن اذا كنت تقصدين بيلا دكلان ،فأنا لم ادمر حياتها ،بل المخدرات .ولقد ادخلتها الى عيادة ،لكنها تركتها مجدداً، لانها لم تكن مستعدة لمحاربة إدمانها ،ولعلها لن تنجح في ذلك ابداً فقد استغلت في طفولتها ،مما اثر عليها لسنوات .وبيلا فتاة مريضة جداً، وما المخدرات الا سبيلها للتغلب على الذكريات التي لا تستطيع مواجهتها. عليك الا تصدقي كل ماترويه الصحف يا آنسه سامر، فهي غالباً ماتبالغ، وتنشر الاكاذيب. "

" ولكن ،اكانت مغرمة بك حقاً؟ "

وحمل صوتها نبرة فراغ صبر ،فأجاب :

" لعلها ظنت ذلك ،لكن مدمني المخدرات يعيشون في عالم خيالي ،ولا يمكن ان تصدقي كل كلمة يتفوهون بها. "

أدارت كلير رأسها ،ونظرت اليه بازدراء حارق .ولما التقت عيناهما ،استحال لونها أحمر داكناً.فهتف بحدة:

" لا تنظري الى على هذا النحو.فأنت تجهلين كل شيء عني.مالذي يجعلك تعتقدين أنك تستطيعين الحكم علي؟ "

" لم انبس ببنت شفة ،والآن ،هل تمانع الترجل من سيارتي ؟فما زال أمامي الكثير من الاعمال، وانا على عجلة من امري، حتى ولو لم تكن أنت كذلك. "

لكنه لم يتحرك ،بل تعمد أن يسترخي ،فأسند ظهره على المقعد، ووجهه ملتفت اليها.وفيما رأسه مرتاح

على يد، راح ينقل نظره عليها ،في نظرات بطيئة متوانيه .وحرصت كلير على ان تبقى متيقظة تماماً.

" شعرك يشبه ضياء القمر ،كما اسمك بالفرنسية.ألهذا أطلق عليك أبوك هذا الاسم؟ أكان لشعرك هذا اللون حين ولدت؟ "

فأجابت باختصار وهي تشعر أن خصلات شعرها تضايقها عند العنق:

" أظن امي احبت اسم كلير ليس الا "

وفكرت في عينيه المتألقتين ،وقد اختفت فيهما ارادة تقلق راحة بالها . ومالبثت ان اعلنت :

" والان ،هلا خرجت من سيارتي اذا سمحت ياسيد بلاك؟ "

" في منزل"البحيرة السوداء" سيارة فيها حاجياتي الخاصة ،وهي في الاسطبل المقفل .واريد أن انقلها الى

كوخك ،وافرغ محتوياتها في الصباح فهل لي بمفاتيح الكوخ اذا سمحت؟ "

ترددت كلير أولا، ثم مدت يدها الى جيبها على مضَض, وسلمت مفاتيح كوخها. ولما تناولها منها تلامست أناملهما برفق ،فاضطرت الى كبت الرعشة التي سرت في اوصالها.وراحت تقنع نفسها ان بشرته باردة ليس الا، وأن لمسته لم يكن لها اي تأثير عليها.

وتلألأت السخرية الباردة في عينيه حين قال :

" أشكرك وسأتمادى .فأتمنى لك ميلاداً مجيداً ايضاً.وارجو ان تكون عطلتك سعيدة بقدر عطلتي. "

فردت بحده:

" شكراً،وأنا متأكدة من أنني سأكون أكثر سعادة .ففي الميلاد،كما في غيره،يحصد المرء عادة مايزرعه. "

ضحك وأجابها:

" أتقصدين أنني أستحق قضاء الميلاد وحيداً؟ اسمعي ،انتظريني هنا دقيقة ، أريد أن احضر شيئاً وسأعود في الحال"

وقبل ان تتمكن من الكلام، خرج من السيارة .فما كان منها الا ان راقبته وهو يدخل المقهى القديم.ترى ،ماذا يخطط الان؟ ثم نظرت الى ساعتها وقد عيل صبرها.يجب عليها أن تعود الى البيت ، فيكفي ما أضاعت من وقت على دنزل بلاك.وفيما هي غارقة في افكارها ،عاد وهو يمشي بتمهل ،ثم استقر في المقعد الامامي مجدداً، فالتفتت اليه كلير بتساؤل .ماذا ذهب ليحضر؟ وبعد ثوان معدودة ،رفع ما في يده حتى أخذ يتدلى فوق رأسها .فرفعت وجهها بحركة غريزية، وأبصرت الساق الخضراء، والاوراق الخضراء، وحبات التوت المتلألئة الصلبة .إنه نبات الهدال!

تمتم :

" بما أنك تبدين كأحد الوثنيين في طقوسك ،فهذا طقس يسعدني المحافظة عليه "

وما إن اتم كلامه،حتى مال نحوها وعانقها عناقاً خاطفاً، لكنه خلفها ضعيفة ، لاهثة ومصعوقة.

لبثت في مكانها صامتة وتشعر بالدوار ، فيما خرج دنزل بلاك من السيارة، من غير أن يضيف كلمة أخرى. ومن العجب أن كلير لم تنطلق في الحال وسرعان ما توقفت سيارة أخرى خلفها ،واخذت تحثها على المسير .فأدارت المحرك على غير هدى ،وتوجهت نحو الطريق العام،حيث كادت تصطدم بحافلة .ولحسن الحظ ،لم يكن السائق مسرعاً فتمكن من الفرملة قبل أن يصدمها.

وهنا ،استجمعت كلير أنفاسها وقد تملكها الرعب .ثم أومأت الى السائق باعتذار ،ومضت الى بيتها وهي ترتعد

في الواقع ،كانت مسرورة بمهماتها العديدة هذا المساء ، فالعمل اكثر أماناً من التفكير .وكلما فكرت،كلما أحست برأسها يدور، إذ لم تصدق هذا الشعور الذي ولد فيها لما عانقها .بدا لها وكأنه زلزال ،مازالت تشعر بهزاته حتى اللحظة.

لكن ،بدا ان أحداً لم يلاحظ ذلك التغيير فيها،لاسيما أن عائلتها كانت تستعد للذهاب للمشاركة في انشاد الترانيم.

وطمأنها والدها:

" لقد أحضرنا طعاماً صينياً من المطعم، فلا تقلقي علينا .هل تدبرت مكاناً يسكن فيه السيد بلاك؟ "

فنظرت كلير الى لوسي ،التي دافعت عن نفسها ببراءة :

" قلت لأبي انني أظن أنك ذهبت لهذا السبب.وقد عرفت أنك لن تتركي الرجل المسكين في نزل طيلة فترة الميلاد! "

عندئذ، ردت باقتضاب :

" نعم، وجدت له مسكناً "

فنظرت اليها لوسي بحماس لم يعجب كلير ،وسالتها: " أين؟ "

" في منزل جديد ،عرض للايجار في الامس .وهو خارج البلدة ، وغير بعيد عن "البحيرة السوداء". "

عندها ، هتفت لوسي بنعومه :

" يمكننا ان نساعده على الاستقرار .فلا شك أن رجلاً يعيش وحده بحاجة الى المساعدة"

" بل لايحتاج الى اي مساعده ،وهو قادر على التصرف وحده. أما إن عانى من مشاكل ،فلديه من المال مايمكنه من حلها. "

ثم حانت من كلير التفاته الى ساعة الجدار وقالت: " ستتأخرون "

فأطلق روبن شكوى صارخة: " انها محقة،هيا بنا! " أسرعوا الخطى ،على أن يعودوا لاحقا مع باقي أعضاء الكورس ليتناولوا طعام العشاء،قبل ان يذهبوا الى الكنيسة عند منتصف الليل .أما في ال وقت الحالي ،فتستطيع كلير الاسترخاء والاستمتاع بمساء هاديء وهي تعد الطعام وتستمع الى الموسيقى,وبما أنها ستنصت الى الترانيم لاحقاً في الكنيسة، فقد قررت الاستماع الى الكونشيرتو الثالث والعشرين لموزارت وهو المفضل لديها.وأسرعت لتضيف الخضار الى حمل

ضخم، ثم أدخلت المزيج الى الفرن استعداداً للعشاء، وفي انتظار نضوجه يمكنها ان تحضر الفطائر المحشوة ،التي خبزت كمية كبيره منها ،سيلتهمها أعضاء الكورس بلا شك.

كانت الغرفة المتصلة بالمطبخ باردة، لا تشملها التدفئة المركزية .لهذا ،فهي منعشة صيفاً،جليدية شتاءً. وقد وزعت فيها طاولات طويلة ،صفت فوقها قوالب حلوى بالكريما ، زينت اعلاها بخيوط متعددة الالوان من السكر ، وقطع حلوى برتقالية وحمراء وخضراء ،فبدت كأنها مجوهرات متلألئة في أوعية زجاجية.

المنزل بكامله يعبق بروائح الميلاد، من اكواز الصنوبر ،ونباتات البهشية واللبلاب التي قطفها والدها واخوها قبل أيام ،فعلقوها حول أطر الصور وعلى الشرفات والنوافذ وزينوها باشرطة لماعة ، وأوراق حمر وذهبية

.كما انتشرت رائحة الطعام في أرجاء المنزل ،وهو بدوره شهي وغريب وغني، من بلح وجوز ،الى زبيب وأناناس، فأكواب العصير وأطباق اللحم.

وكانوا قد رتبوا البيت استعداداً للميلاد ،كعادتهم في كل سنه . فالأشرطة المتدلية في كل غرفة ، وأجراس الميلاد تمتد من السقف وتتوزع هنا وهناك ،فيما شجرة الميلاد تزين غرفة الجلوس قرب النافذه ، وتملأ الجو بعبق الصشنوبر. والشجرة في غاية الجمال ،مزينه بالكرات الزجاجية ، وغيرها من أدوات الزينه.

وتهالكت كلير على كرسي بذراعين قبالة النار، وبيدها فنجان قهوة .وراحت تنظر الى الشجرة بعينين ناعستين ، فيما الغرفة غارقة في ظلام طفيف، لايبدده لا نور مصباح صغير. لابد أن الاخرين سيعودون ادراجهم قريباً، لكنها تعبة الان ، وينتابها ذلك الوهن

الجسدي اللذيذ. سرعان ماتثاءبت وهي تتمدد بكسل مشغولة البال ولم تمض دقائق حتى اغمضت عينيها وراحت في أغفاءة خفيفة،

وفجأة ،دخل دنزل بلاك الى الغرفة ، وقد انعكس طيفه الاسود المألوف على الجدران، حتى كاد يبتلعها. لم تكن قد أدركت قبلاً أنه بهذا الطول، فقد بدا لها أن رأسه يلامس السقف ،فيما قامته رفيعه كخيط الدخان ، تتلوى نحو الاعلى .واذا بدمها يمسي بارداً،ليستحيل حاراً مجدداً ، وعجزت عن التنفس ,او الكلام وشعرت أن سراً غامضاً يمنعها من الحركة.

تطلعت اليه وهي تناضل لتتحرر، وتنهض.لكنه بادلها النظرات ،وابتسامة جافه غريبة على وجهه، وعيناه الرماديتان شاحبتان وكأنهما خضعتا للتنويم المغنطيسي ،فيما قوة ارادته تقضي على كل مقاومتها . وشعرت

بشفتيها تحترقان وكانه يقبلها ، تبع ذلك احساس بوهن شديد سيطر عليها .وبدا لها انه يطفو في أرجاء الغرفة بصمت ثم دنا حتى بات فوقها ، فحبست كلير أنفاسها .عندئذ ،أخذ فمه يقترب من عنقها ببطء، وهي تراقبه بانفعال وضعف ، وتتوق الى لمسته. وتدفق الدم في شرايينها وأحست كأنه يمتص حياتها مع دمها. وما لبثت أن شعرت بالاغماء تدريجياً. فراحت تتنهد بمزيج من الرعب والاثارة ،واغمضت عينيها مجدداً، حتى لفها الظلام تحت جناحه.

وصفق الباب في مكان ما، فأجفلت كلير بعنف.

أكانت نائمة طيلة هذا الوقت؟ كان باب غرفة الجلوس مشرعاً، مما سمح للنور أن يتسلل من الرواق الى الغرفة.واذا بها ترى دنزل بلاك بغتة ،وهو يقف عند العتبة يراقبها.

ارتجفت كلير .هل حدث ما حدث فعلاً ؟أم كان مجرد حلم؟ ترى أهي اتحلم الان؟ وهل تحقق منامها ؟اسيطفو في أرجاء الغرفة ثم ...؟

واقبل من خلفه لوسي والصبيان وهم يضحكون ، وقد علت وجوههم حمرة البرد والاثارة ،فيما أبوها وبقية أعضاء الكورس يتجمعون من خلفهم.

واذا بصوت يصدح : " ميلاد مجيد،كلير! "

وارتفع صوت آخر :"هل أيقظناك؟ ياللأسف! "

وكشر روبن :

" طننا أنك انتهيت من إعداد الطعام أيعقل هذا ياكلير؟ اننا نموت جوعاً! "

ثم تقدمت لوسي لتدير زر الكهرباء الرئيسي ،وهتفت :

" تفضلوا جميعاً "

وغمر الغرفة نور مشرق بهر كلير وهي تنهض من كرسيها .وجلس أعضاء الكورس في مقاعدهم وهم يضحكون ويتحدثون ، وكل منهم يحاول الاقتراب من النار،في حين انشغل بعضهم بتحية كلير وتهنئتها بالعيد.

ومع أنها لم نتظر الى دنزل بلاك ، الا انها شعرت به يراقبها. ماذا يفعل هنا بحق الله؟ وكيف تمكن من الانضمام اليهم والاحتيال ليدعونه؟

وهنا تكلمت لوسي ، وهي تنظر الى دنزل وعيناها تتألقان اشراقاً وعلى شفتيها قطرات ندية.

" لقد سمعنا دنزل ونحن نغني فيما كان يسير في الشارع ، فتوقف لينصت الينا ، وبقي مدة طويلة . وبالفعل كان أفضل مستمعينا. ".

دق ناقوس الخطر في ذهن كلير ، في حين تابعت لوسي:

" دعاه ابي لتناول العشاء معنا.والطعام وفير،اليس كذلك؟ "

فأجابت كلير بتيبس ، وقد اقشعر بدنها وهي تشاهد أختها تبتسم له:

" طبع اً"

منذ تعرف دنزل بلاك الى لوسي،وكلير تخشى هذه اللحظة ،ولم تشأ ان تبعد لوسي عنه لاميال ,فحسب بل جهدت لفصلهما عن بعضهما البعض كلياً.لكنها أدركت الان ان اختها لن تستمع الى تحذيراتها بسهولة. وهنا تقدم والدها :

" أتحتاجين لمساعدة ؟ أيها الصبيّان ،تقدما وساعدا شقيقتكما, لوسي ، احرصي على راحة ضيوفنا ،وقدمي لهم الشراب "

وأعلنت كلير وهي تخرج من المطبخ:

" لقد أعددت الشراب، وسيحضره روبن في الحال "

" مم...يبدو لذيذا ....ماذا وضعت فيه؟ هل لي بكوب؟ "

" انه محضر أساسا من عصير الفاكهة ، اضافة الى التوابل ، لكنني أضفت اليه أيضاً شراب الكرز. يمكنك الحصول على كوب طبعا، فلن يضرك أن لم تكثر منه. "

وتقدم جايمي بسلتين مليئتين بالخبز الفرنسي ، ثم سألها مقلداَ أخاه :

" هل لي بكوب أيضاً؟ "

وشرعت تراقب اباها، وهو يلبس القفازات ,ويخرج الطعام من الفرن بعناية .ثم سالته:

" هل الصينيه ثقيلة عليك يا أبي؟ "

فطمأنها :" بل أنا بخير "

كانت قد أعدت المائده مسبقاً، ووضعت السكاكين والاطباق والمناديل الورقية.القت حولها نظرة أخيرة لترى ماذا ينقص بعد، فأبصرت شخصاً يدخل الغرفة ببطء ، مشرق العينين وعلى وجهه سحر متملق.

" مرحباً كلير ،هل يمكنني مساعدتك؟ "

بدا على ملامحها أنها غير مصدقة :

" هال! لم الاحظ أنك مع الكورس ، هل عدت الى البلدة لقضاء الميلاد؟ "

منذ ثلاث سنوات ،وقعت كلير في حب هال ستيفنز، وآمنت أنه يحبها أيضاً، الى ان تزوج فجأة من امرأه

أخرى ، وانتقل بسرعة من البلدة ،ليعيش في يورك مع زوجته الجديدة.

وكتب لكلير رسالة يشرح فيها الوضع، لكنه بعث بها ليلة زواجه المفاجيء فكان ان سمعت بالخبر من جار، تعاطف معها بشدة ، الا انه وفي الوقت نفسه ، غمره الفضول ليرى تعابير وجه كلير المصدومة.

ولم تتسلم الرسالة الا بعد مرور يومين ، وشرح فيها انه تزوج المرأة الاخرى لانها تنتظر منه مولوداً. وصعب على كلير أن تتذكر كيف شعرت في باديء الامر.إنما تملكها إحساس بالكرب وعدم التصديق .وعاشت لاشهر كإنسان آلي ،بالكاد يدرك المرء مايفعله أو يقوله، وانما يكتفي بالعيش.ومع الوقت ، تغلبت على المشكلة ،لكنها باتت حذرة جدا، وعلى قدر من التشاؤم وشديدة الاحتراس في مايتعلق بالرجال.

ولم تدرك أنها نفدت بجلدها إلا لاحقاً, حين استوعبت رسالة هال المثيرة للشفقة.وقد كتب فيها انه لا يحب زوجته الجديده ،بل ربطته بها علاقة قصيرة حين قضت عطلتها في غرينهاوي.في تلك الفترة ، كانت كليري مشغولة جداً،فشعر بالوحدة ،ثم أحس انه وقع في فخ لما حملت ستيفاني منه، لكن كلير مازالت المرأة التي يحب. ولاحقاً، شعرت كلير بالاسف على زوجته ، ما أن بدأت تفكر بصفاء مجدداً.فأي نوع من الزواج هذا، حين يتحدث هال بهذه الطريقة عن زوجته،ويكن لها هذه المشاعر . لوكرهت كلير الامر لو عرفت أن رجلاً ما يتحدث عنها على هذا النحو! بعدئذ، سمعت كلير ان ستيفاني تشارف الثلاثين من العمر،ولا تتمتع بقدر من الجمال ، ولكن أهلها أغنياء، وشبكة أعمالهم واسعة مزدهرة وبعد ان تزوج هال من ابنتهم

،شغل مركزاً مهماً كمدير مبيعات وبلغ ربحه حداً لابأس به.

رد عليها بابتسامه:

" كنت أغني مع أعضاء الكورس ، واصر والدك على مجيئي "

لطالما دللت والدة هال ابنها ،فظن أنه يستطيع استرضاء أي امرأه ولعله نجح مع معظم النساء.

أما كلير ،فلا ،نظرت اليه ببرودة وفي عينيها الزرقاوين سخرية واضحة .هذه المرة ، لن تقع أسيرة سحره ،لن تقع ثانية أبداً.فهي تعرفه جيداً.

قلت له انك لن ترغبي في رؤيتي مجدداً.لكنه أكد أنك نسيت الامر وسامحتني على مامضى ، وأنه الميلاد على كل حال..."

وفاضت عيناه الزرقاوان تفاؤلاً. كان اشقر ،ناعم البشرة، وعلى وجهه سمات طفولية، وسحر فائض تعود أن يتكل عليه.مما دفعها الى التساؤل عما عساه يفعل حين تمر عليه السنين، ويفقد ذلك السحر الصبياني الذي يتميز به.

" هل عدت لقضاء الميلاد مع أهلك؟ "

وكانت تعرف أن أباه وأمه أمضيا الميلاد المنصرم مع زوجته وطفلهما.وأبوه يملك متجر خرداوات في البلدة، وقد التقته في أحد أيام الربيع الفائت، فراح يتحدث بلا هواده عن حفيده ونجاح ابنه متجاهلا ما اقترفه ولده في حقها.الا ان زوجته لطالما بدت محرجة عند لقائها بكلير.

" هذا صحيح .وحين مررت "بتاون هول"ورأيت الكورس يغني ،لم استطيع مقاومة الرغبة في الانضمام اليهم. وقد استعدت العديد من الذكريات الجميلة. "

ثم أخفض بصره وتنهد ،قبل أن يردف :

" كلير.... من الرائع ان اراك. انت اجمل مما اتذكر،وانا لم انسك مطلقاً ،وانت أيضاً، أليس كذلك ؟ "

فأجابت بحدة:

" في الواقع، بما أنك متزوج ولك طفل.فعد الى الباقين يا هال،واتركني وحدي "

أمسكها بكتفيها، وقد علت الاثارة وجهه:

" سأفعل بعد دقيقة ،ياكلير ,ولكن امنحيني قبلة واحدة أولاً "

كانت على وشك أن تدفعه بعيداًعنها ،حين أمسك به شخص آخر ورمى به الى أقصى الغرفة.

" لقد سمعتها ! أخرج من هنا! "

فعجزت كلير عن التعبير. وما كان منها الا ان حدقت في دنزل ذاهلة وقد اتسعت عيناها الزرقاوان ارتياعاً.

أما هال، فاصطدم بالجدار عند الباب محدثاً صوتاً مكتوماً.وملأ الغضب وجهه الوسيم ، ثم تطلع الى دنزل وهو يشد قبضتيه استعداداً للعراك.

فنصحه دنزل بنعومه: " لاتفكر في ذلك حتى! "

توقف هال فجأة ،وكأنه يعيد التفكير في الامر لاسيما بعد أن سمع نبرة دنزل الامرة .بدا متردداً،قبل ان يحملق فيه ويدمدم: " لاتستحق العناء".

ثم اختفى. أما دتزل ، فنظر الى كلير وقال متشدقاً:

" أهذا هو الشخص الذي وضعك في مخزن بارد؟ كنت أعرف أن الامر يتعلق برجل.فلا بد من وجود سبب لهذه الطبقة الجليدية التي أصطدم بها كلما تكلمت مع امرأة جميلة مثلك "

فأجابت كلير بحدة:

" ولم تفكر طبعاً في ان حدتي تعود لتصرفاتك! اذا لم يغمى علي في الدقيقة التي رأيتك فيها ،فهذا لا يعني أني أشكو من عيب "

بدا متسلياً:

" شيء من هذا القبيل ،عرفت أنك مررت بتجربة فاشلة ذات مرة،لكن علي الاعتراف بأن ذوقك قد خيب أملي.ماذا أعجبك في هذا الرجل بحق السماء؟ "

فأجابت وصوتها يقطر جليداً:

" أما أنا ،فكنت أتساءل مالذي يعجب النساء فيك"

ومالبثت أن اخرجت وعاء كبيراً من القشدة ،وناولته

إياه قائلة:

" هلا تكرمت وسلمت هذا للباقين؟ "

لكنه لم يطعها ، بل نظر اليها من خلال أهداب

كسولة ،وابتسم ،ثم أضاف:

" ألا اتلقى شكراً لأني وفرت عليك عناء صفعة؟ "

فتمتمت بفتور: " شكراَ "

وسرعان ماقهقة :

" في يوم ما علي أن اكتشف أن كان الدم يسري في

شرايينك "

وابتعد حاملاً الوعاء ،فيما تسمرت كلير في مكانها

وهي تحدق فيه، وجسدها يرتعش، وقد تذكرت الحلم

الغريب،اضافة الى الرعب والانفعال الذين تملكاها.

## الذين تملكاها.

## 4- ابتعد عن اختي!

فترة مابعد رأس السنه ،مر عمل كلير بفترة ركود ،فقلة من الناس يفكرون بتغيير بيوتهم في الشتاء.وكان هذا موضوع حديثها مع جوني برتشارد، المحامي الذي تولى معظم مهمات هيلين في فترة نقاهتها الطويلة. بدا جوني متعاطفاَ ،ووافق :

" انا اتلقى قسما كبيرا من دخلي من السماسرة أمثالك! لكنني محظوظ بالحصول على وصايا أعتمد عليها ،إذ يميل عدد كبير من الناس الى الموت في الشتاء، وكمنفذ لوصاياهم،أتلقى أجراً لابأس به. "

كان جوني رجلاً لطيفاً، في أوائل الثلاثينات اشقر وضعيفاً.وقد فشل زواجه بعد سنوات ،ولذا عاش مع والدته في شقة على الساحل .وتقول الاشاعات المحلية إن أمه تسببت بالطلاق، لكنها لطالما كانت لطيفة مع كلير منذ عرفتها قبل أعوام انقضت. وتابع جوني :

" قالت لي أمي أمس انه علينا أن ندعوك على العشاء قريباً. فمتى يمكنك المجيء؟ هذا الاسبوع؟ "

ترددت كلير لبرهة،ثم ابتسمت له:

" حسناً، مارأيك في يوم الاربعاء؟ "

رحبت بها السيدة برتشارد،وأعدت لها طعاماً خاصاً،ثم أصرت على ان يعزف لهما جوني على البيانو بعد العشاء.استمتعت كلير بتلك السهرة ،ومالبثت أن دعت جوني بدورها الى منزلها بعد أسبوع.

ولاحقاً،قالت لها لوسي بتشكيرة:

" انه هاديء ،جداً! ماذا ترين فيه؟ اظن أنه جدير بفتاة أخرى ،نظراً لأنه يتلقى مدخولاً كبيرا.لكن،صدقاً كلير، انه يخلو من الاثارة تماماً ! "

لكن كلير لم تكلف نفسها عناء المجادلة ،فهي تحب جوني .ومع انه ليس الحب الذي يدفعها الى الارتباط به،الا أن لوسي لا شأن لها بذلك.

وخلال الاسابيع الاولى من السنه الجديدة ،تساقط الثلج بشدة في البلدة .فتكدس على الارصفة،واستحالت الأشجار نافورات من الكريستال،فيما اتخذ البحر شكلاً شاحباً، غاضباً، عاكساً السماء الباردة.

وفي صباح أحد أيا م الاسبوع الباردة ،تمتمت لوسي على مائدة الافطار :

" أرجو أن يكون المكان الذي أستاجره دنزل بلاك دافئاً "

وسرعان مالتفتت الى كلير بعينيها المشرقتين المتسائلتين:

" وأين يقع بالمناسبة. لقد نسيت تماماً.....كلير! أنت لا تنسين أبداً الملكيات التي تهتمين بامرها.أتعرفين؟ لا شك أنه يشعر بالوحدة في هذه البلدة الغريبة ،لاسيما بعد أن عاش في هوليوود. "

ومالبثت أن تنهدت بحسد وأضافت:

" تصوري كل تلك الحفلات والنجوم المشهورين ! لا بد أن الامر رائع! "

فكرت كلير كم ستكره العيش في هيوليوود،فحياة البلدة تناسبها أكثر ثم أجابت بجفاء :

" ربما لا. ولعله لم يأت الى هنا إلا املاً في تلك الوحدة على كل حال، لم يهمك أمر رجل أخر وأنت مخطوبة؟ "

فردت بحدة،وقد احمر خداها:

" الا يمكن ان يكون لي اصدقاء اخرون ،وان كنت مخطوبة؟ "

" لكن، ليس رجالا كدنزل بلاك يالوسي! فالعبارة التي تصفه بحق هي :الرجاء التعامل معه بحذر. "

قهقهت لوسي وقالت:

" كنت اعتقد أنك غير معجبة به لكن يبدو أنك تجدينه ساحراً جداً! "

ولما عبست كلير،سارعت لوسي بالنهوض عن المائدة وهي تقول :

" يا إلهي ، انظري الى الساعه...يجدر بي أن أسرع ،أراك الليلة. قد أتاخر ،إذ لدي اجتماع موظفين بعد دوام المدرسة،وذلك لمناقشة مهرجان الربيع الذي تخطط له "

راحت كلير تراقبها وهي ترحل ،والقلق يعلو وجهها ،فقد بات اهتمام لوسي بدنزل بلاك مزعجاً. ولن يطول الامر حتى تتبلغ الاشاعات مسامع مايك ،ان تورطت معه .فهذه بلدة صغيرة ،ولا مجال لأخفاء الأسرار.

وبعد فترة ، علمت ان البنائين باشروا العمل أخيراً في "البحيرة السوداء".وكان هذا المنزل الأكثر شهرة، لذا تحمس الجميع لفكرة أن يعود للللحياة بعد أن بقي خالياً فترة طويلة. وبعد أسبوع ،وفيما كانت كلير تقفل

الوكالة في المساء ،خففت سيارة من سرعتها الى جانبها ،وإذا بدنزل بلاك ينادي: " سأوصلك الى البيت "

هزت كلير رأسها نفياً:

" كلا شكراً سأسير فالمنزل ليس بعيداً "

فأمرها وهو يفتح الباب الامامي :" اصعدي! "

واذا بها ترى على الرصيف الاخر اناساً تعرفهم يصغون الى حوارهما وان اكملت مسيرها ،فيما دنزل يتبعها بسيارته ،ويجادلها ،فستتضارب التكهنات وتتنوع. وأدركت بامتعاض انها لا تملك خياراً .فعلا التورد وجنتيها ،وصعدت الي السيارة ، قبل ان ينطلق بها دنزل. ومن غير أن تنظر اليه ،همست بعنف:

" إياك أن تفعل هذا مجدداً "

فسألها بكل براءة :

" أفعل ماذا؟ أتبرع بإيصالك الى منزلك؟ ومالعيب في هذا؟ "

التفت اليه بحدة وأجابت:

" كان عليك أن تنطلق ما ان رفضت، بدل ان تزعجني أمام كل هؤلاء الناس! "

" ولم تهتمين بآرائهم؟ "

" انها بلدة صغيرة ،ولا احب ان اكون موضع حديث. "

لوى فمه سخرية وقال:

" ستعتادين على هذا ان كنت مضطرة ،فعلى المرء ان يضع قناعاً أو اثنين "

رمقته بنظرة جانبيه وسألته: "وكم قناعاً لبست؟ "

فما كان منه الا أن ضحك وقال : " توقفت عن العد منذ زمن طويل "

وفجأة أدركت أنهما لا يتوجهان الى منزلها،فعدلت جلستها ،وشعرت بكل عضلة في جسدها تتصلب.

" الى أين تذهب؟ "

" فكرت في أن نتناول العشاء في مكان ما في البلدة.وقد اكتشفت مطعماً صغيراً هادئاً، يديره طباخ ممتاز فعلاً. " " لكن لدي موعداً،فأرجوك ،خذني الى المنزل. "

وراحت تكبت الرعب في صوتها ،وهي تحاول أن تبدوا باردة وبعيدة.

والتفت اليها : "موعد؟ مع رجل؟ "

" نعم، مع أن لا شأن لك بهذا. فهلا عدت أدراجك إذا سمحت ،وأوصلتني الى المنزل؟ لا أريد أن أتأخر"

تمهل في قيادته وقد أشاح بوجهه الذي بات قاسياً،غامض الملامح:

" كان لدي انطباع ان لا رجل في حياتك "

فأجابت بارتياح فظ لم تستطع أن تشرحه حتى لنفسها

: "إذا... كنت مخطئاً "

" وما اسمه؟ "

ولما لم تجيب ،ادار رأسه مجدداً نحوها ،ونظر اليها بحدة

وعيناه تلمعان:

" سألتك عن اسمه "

" لاشأن لك بحياتي الخاصة. "

" ليس الشاب الذي كان يضايقك في حفلة ليلة

الميلاد؟ "

فردت بإجفال :

" هال؟ كلا، طبعاً! هال لا يعيش هنا بل عاد الى

البلدة لقضاء الميلاد وحسب "

عندها ،تمتم بهدوء:

" جيد،وكما تعلمين ،لقد تفاجأت بما سمعته مصادفة لم أظنك من النوع الذي يتورط مع رجل متزوج ".

فردت بحدة وقد تورد خداها:

" لم يكن متزوجا حين عرفته "

علق بهدوء:

" فهمت.أتزوج بعد أن قطع علاقتك به؟ أم من منكما قطع العلاقة ؟أنت أو هو؟ "

واثار فضوله انزعاجها ،وهي التي لم تكن تريده أن يهتم بحياتها ،فما بالك بحياتها العاطفية؟

" أرجوك ،هلا توقفت عن طرح هذه الاسئلة وأوصلتني الى المنزل؟

هز كتفيه بلا مبالاة،وانعطف بالسيارة ،وتوجه الى منزلها مباشرة من غير عجلة .ولما توقف امام البيت،

فكت كلير حزام الامان ،لكن يده قبضت عليها في هذه اللحظة وأمسكتها من رسغها.

" ماذا عن الرجل الذي تواعدينه الان؟ منذ متى تعرفينه ؟ هل العلاقة جدية؟ "

وردت تعلى نظراته المتسائلة ببرود:

" كيف تظن انك تملك الحق في سؤالي؟ وماذا لو كنت جدية ؟مادخلك بهذا؟"

فأصر : " أهي جدية؟ "

وكذبت : " نعم "

وإذا بها ترى عينيه تومضان ،فيما حاجباه يرتفعان فوقهما :

" لم لا تخبريني عن اسمه؟ أهو متزوج أيضاً؟ "

فأجابت بحدة: "كلا، واسمه جوني .والان هلا تركتني؟ "

ظنت لبرهة أنه لن يفعل ،فاحست بأعصابها تتشنج تحت بشرتها منذرة بالخطر .وقادت أعينهما معركة صامته، سلاحها النار التي اشتعلت بينهما.

وفاق التوتر كل احتمال ، وأحست بأنها على وشك الصراخ،لكنه أطلق أخيرا،فسارعت بالترجل من السيارة، ومضت من غير ان تلتفت وراءها.

وكان من المهم بالنسبة لها ألا تلتفت وراءها ،لئلا يعتقد أنه ترك فيها أثراً ما .ولم تكن تكذب عليه ،فهي مرتبطة بموعد مع جوني برتشارد، وسيصطحبها الى مطعم يوناني جديد فتح أبوابه في البلدة هذا الشتاء .

وفيما هي تستعد ،أطلقت كلير تنهيدة ،فجوني رجل لطيف. لكنها لا تستطيع التفكير فيه كما تفكر في دنزل بلاك،رغم ان هذا الاخير لا يمت الى اللطف بصلة؟

في الواقع ،لم تشأ أن تعبره أي اهتمام .وحاولت أن تتقيد بذلك أثناء النهار،لكنه غالباً مايتسلل الى أحلامها بازعاج .وظل ذلك الحلم الغريب الذي نسجت حبائلة ليلة الميلاد يراودها مرارا وتكرارا خلال هذا الشتاء الطويل والبارد ،رغم أنها لم تفهم معناه حقيقة. وبدأت تخشى من الخلود الى النوم.

ولم تلتق دنزل بلاك لأسابيع، لكنها أحيانا تلاحظ حركة ناشطة وهي تمر "بالبحيرة السوداء" من سقالات حول السقف الى عربات مركونه في الفناء ،وكومه من مواد البناء موزعه خارج المنزل،اضافة الى رجال ،في أيديهم أكواب من الشاي ،يتأملون الطقس الذي أضحى معتدلاً هذا الاسبوع،بعدما ذاب الثلج ليترك المنطقة مغمورة بالمياه.

وخلال هذه الاسابيع ،كانت نادراً ماتجد لوسي في المنزل .فقد حتم عليها المهرجان العديد من التمارين بعد المدرسة والقليل من وقت الفراغ. لكن كلير فكرت بارتياح ،انها ،على الاقل، ستنسى دنزل بلاك. فهي لا تأتي كلى ذكره أبدا الان. وعدا عن ذلك ،لم تكن تتكلم عن أي شيء آخر ،إذ كفت عن قراءة رسائل مايك أثناء الفطور ،أو التحدث عن مشاريعها للزواج ، المقرر قرابة عيد الفصح. وحين اقترحت كلير أن تتخذا تدابير جدية،انفعلت لوسي ورفضت مناقشة الامر. حتى أن والدها لاحظ هدوء لوسي الشديد وانطوائها على نفسها، وتمتم وهو يعبس بقلق:

" إنها شاحبة أيضاً. هل تظنين أنها تعمل بجد ؟انها تمضي ساعات اضافية كثيرة كداً من أجل هذا المهرجان "

فوافقت كلير :

" لعل هذا هو مافي الامر .سأتكلم معها "

وفي صباح اليوم التالي ،وفيما هما على مائدة الفطور،رفع روبن نظره عن المجلة التي يقرأها ،وهتف بحماس:

" اسمعوا! يقال هنا ان دنزل سيصور فيلماً في انكلترا لاحقاً في هذه السنه، مما يفسر سكنه هنا! "

فسأل أبوه:

" أيتحدثون عن موضوع الفيلم "

رد روبن:

" انها رواية لفرد من عائلة برونتي ،لم أسمع بها من قبل،وتدعى "أجير القصر المميت"

هل تعرفينها يالوسي؟ "

" نعم، لقد كتبتها آن وهي الاخت الثالثة ومازالت على قيد الحياة .وتدور أحداث الرواية حول امرأة متزوجة تهرب من زوجها الثمل. "

ولم تكلف لوسي نفسها عناء اشاحة نظرها عن الرسالة التي تقرأها. فارتاحت كلير وهينرى أنها فقدت كل اهتمامها في دنزل بلاك ،وأنها استعادت القليل من اللون هذا الصباح، فيما اكتسب خداها هذا الاحمرار الصحي . ومن يدري لعله ما من داعي للقلق عليها.

وبعد عشر دقائق ،وفيما كانوا يستعدون للرحيل ،ذكرتها لوسي:

" سآخذ سيارتي الى الكاراج.فهل يمكنكك أن تتبعيني الى هناك، ثم تصحبيني الى المدرسة؟ "

–حسناً، ولكني سأوصل روبن وجايمي أولا ثم اراك في الكاراج.

وستنتهز الفرصة التي انتظرتها كي تتكلم مع لوسي وزاد ذلك التصميم فيها حين وصلت الى الكاراج،ورأت ان الاحمرار على وجه لوسي قد اختفى ليترك مكانه للشحوب مجدداً.

لكن ما ان فتحت كلير فمها حتى تكهنت بالموضوع،وهتفت :

" انا بخير تماماُ، وليس بي من سوء.فكفي عن انتقادي"

فتفاجأت كلير برد فعلها ،ثم قالت وهي تخفف عنها :

" أنا لا انتقدك يا لوسي .ولكنني وأبي قلقان عليك.فأنت تجهدين نفسك بالعمل ،وقد ظهرت عليك عوارض المرض.تذكري ان زواجك ليس ببعيد "

التفتت لوسي اليها وهي تكاد تصرخ ، فيما احتد وجهها وارتسمت العدائية في عينيها المتألقتين.

" أنا بخير، بخير تماماً.فدعيني وشأني! "

كانت كلير من الصدمة بحيث قادت بصمت حتى بلغت المدرسة الابتدائية حيث تعلم لوسي. ومالبثت أن توقفت ،فخرجت لوسي من السيارة وصفقت الباب ومضت من غير سلام أو شكر.

مابالها بحق السماء؟ و أوشكت تكلير على الانطلاق حين تقدمت المديرة وحيتها بحرارة.

" كيف حالك ياكلير.تبدين شاحبة قليلاً، كحال لوسي مؤخراً.لكنها تعمل بجد استعداداً للمهرجان .اليس من المثير ان تتمكن من الحصول على مساعدة دنزل بلاك؟ فكرم منه أن يوفر لنا وقته ،لا سيما انه رجل مشهور!

وأحست كلير بنفسها تتخدر من الصدمة ،لكنها تصنعت اجابة مهذبة ،قبل ان تبتعد بالسيارة بتمهل.إذا ،هذا هو السبب.لا عجب أن لوسي باتت شاحبة ومتوترة الاعصاب ، فهذا مصير نسائه .وتعرفت كليرعلى عوارض مرض هيلين نفسها ،اضافة الى النجمة التي مثلت في فيلمه الاخير .كما فكرت في وجه هيلين يوم أغمي عليها في الشارع، من الشحوب وخطوط التعب الى سواد العينين والظلال حولهما. وهذا الصباح ،حين تكلم روبن عن الاشاعة التي تدور حول فيلم دنزل الجديد،كيف لم تشك في تصرفات لوسي الفظة ،ولا مبالاتها الظاهرة بعد أن كانت اسيرة سحر كل مايتعلق به؟ وتذكرت كلير ان لوسي نوردت فعلاً،رغم أنها لم ترفع رأسها .فقد لاحظت اللون على خديها ،ولكن بلغ بها الغباء حداً

ظنت معه أنها أفضل حالاً.وعليها أن تلعن نفسها لأنها لم ترى الحقيقة. وبدات تجمع تدريجياً قطع الاحجية الصغيرة ،فأختها تقابل دنزل بلاك سراً في الامسيات التي تتظاهر فيها بالعمل بالمدرسة حتى ساعة متأخرة .وهي لاتشك في ان لوسي كانت تعمل لساعة أو ما يزيد ،لكنها كانت لا تلبث ان تتسلل مع دنزل بلاك.

وعضت كلير على شفتها السفلى ،وفكرت والشرر يتطاير من عينيها : "اللعنه عليه!"

لم لا يتركها وشأنها؟ فهي مازالت صغيرة ، ولا تتمتع بخبرة حقيقية في الحياة خارج هذا المكان المنعزل المسالم.

ولم تكن كلير مشغولة هذا الصباح ،فامضت جزءاً كبيراً من وقتها وهي تحدق في الفراغ، مكتئبة .ماذا

عليها ان تفعل؟ لا يمكن أن تدع لوسي تحطم حياتها فقد تفسخ خطوبتها ، وتتتحلى عن عملها ،ولكن.

ماذا تفعل حين يمل منها دنزل بلاك،كما توقعت كلير أن يفعل، ماذا قد يحدث للوسي حين تنتهي العلاقة ،فتواجه الواقع مجدداً،ومعه كل تلك العواقب الوخيمة لعملها؟ وفكرت كلير بمرارة:

" لن يفعل ذلك بأختي !لن اكتفي بمراقبتها وهي تدمر حياتها .علي أن أوقفها عند حدها ،لكن كيف؟ "

وعند الواحدة ،خرجت لتناول طعام الغداء.وفي طريقها الى مطعمها المفضل ،رأت دنزل يسرع الخطى على الرصيف الثاني،ومعطفه الاسود الطويل تتلاعب به الريح، فأحست بقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان سبق ان لمحته بضع مرات خلال الاسابيع الماضية من. بعيد .وفي كل مرة وفي كل مرة ينتابها هذا الاحساس

المقلق الذي يقارب الرعب،لكن احساساً آخر تغلغل فيها بقوة ،رغم أنها رفضت أن تواجهه، أو حتى أن تقر بوجوده.

وخفف دنزل من سرعته ثم التفت ليعبر الشارع،فما كان من كلير إلا أن تسللت الى المتجر الأقرب لتختبيء فيه.

فسألتها المرأة خلف المنضدة : " هل لي بمساعدتك؟ "

نظرت اليها كلير بارتباك وهي لاتعرف نوع البضاعة التي يبيعها المحل،واضطرت الى اجالة النظر حولها،قبل ان تجيب :

" آه، أود ثلاث حبات من البرتقال اذا سمحتِ "

ومالبثت ان تركت المتجر بحذر،وهي تختلس النظر من جانب الى آخر .لكنها لم تقع على أي اثر لدنزل

بلاك.وبدلاً منه،وقعت على هيلين، وهي تبدو سمراء مشرقة.

حيتها هيلين بابتسامة: " مرحباً كلير، كيف حالك؟ "

فأجابتها بصوت أجش،وهي مازالت تحاذر من ظهور دنزل. ثم لاحظت مظهر هيلين وعلقت: "تبدين رائعة. أعدت لتوك من مايوركا؟ "

" نعم منذ يومين .لقد عدت وبول لنعيد افتتاح الفندق في موسم الربيع. "

وعلا احمرار طفيف وجهها الاسمر،ثم قالت على عجل وبقدر من الخجل:

" سنتزوج مجدداً ياكلير "

ولم تكن تلك مفاجأة بالنسبة الى كلير، فاهتمام بول بهيلين ،واصراره على ان تسافر معه الى مايوركا اوضحا للجميع أنه مازال يحبها.

" هذا رائع هيلين؟ لاعجب أنك تبدين بهذه السعادة ،بالمقارنه مع حالك قبل الميلاد ومرضك حينها .اما الان ،فأنت امرأة مختلفة! "

" مرضي هو ما جمعنا مجدداً.أتعرفين؟ ان لم تتصلي به حينها ،لما عدنا الى بعضنا مجدداً."

فاحتجت كلير :

" بل أنا متأكدة من أنكما كنتما ستجتمعان عاجلاً أم آجلاً. "

" لست ادري. فكلانا عنيد، ومتكبر جداً.وانا ادين لك ياكلير! ستأتين الى زفافنا ،اليس كذلك؟ سيكون حفلاً صغيراً، خلال شهر تقريباً.وهو عرس بسيط بلا هرج ومرج ،يضم العائلة وبعض الاصدقاء،وسيقام في الفندق. "

" أود ذلك ،واشكرك على دعوتي. "

وبعد ان اخذت كلير نفساً، اختلست كلير نظرة سريعه على طول "هاي ستريت"،لتتأكد من أن دنزل بلاك غير قريب.ثم سألت بلا مبالاة:

" بالمناسبة، اما زال دنزل بلاك زبونك؟ "

فتبدل وجه هيلين، وارتسمت عليه تقطيبة ،قبل ان تجيب:

" كلا جوني برتشارد يتولى اعماله، ألا تذكرين؟ لماذا؟ "

" لقد استأجر منا كوخاً ،بانتظار انتهاء الاعمال في "البحيرة السوداء"وكنت أتساءل اذا عدت الى تمثيلة بعدما تحسنت حالك الان؟ "

فاجابت هيلين بجفاء: " كلا "

وقررت كلير ان تجازف وتكون صادقه معها :

" هيلين ،انا قلقة على لوسي...لقد اكتشفت لتوي انها تقابله،سراً! "

فنظرت اليها هيلين بحدة واتسعت عيناها خوفاً:

" لوسي؟ و لكن، أليست مخطوبة؟ "

" نعم الى شاب لطيف جداً،يسكن في افريقيا في الوقت الحالي.وهي لم تره منذ تسعة اشهر،لذا فهي تشعر بالملل والوحدة .ومنذ ان تعرفت الى دنزل بلاك وهي اسيرة سحره. "

فعضت هيلين على شفتيها :

" اذاً، انت محقة في قلقك عليها. فهو يثير المشاكل للنساء "

ولما ازداد احمرارها ،نظرت الى كلير بتكشيرة،واضافت :

" علي ان اعترف أنني فقد عقلي بسببه.فقد كان الحزن على بول يتملكني عندما التقيته.ولم أظن ان شعوري قد يزداد سواءاً،لكنني كنت مخطئة.وبدأت أواعد دنزل ،حتى تعلقت به لدرجة الهوس. وكان محط تفكيري كله ، فإن لم أره ،ابيت حزينه وان رايته، يسيطر علي الانفعال "

بدت كلير شاحبة ومنزعجة ،وتمتمت :

" تلك هي حال لوسي مؤخراً. كنت أظنها ترهق نفسها في العمل، اذ توقفت عن الكلام ، الا عندما تثور غضباً لتفاهات .وهي بالكاد تأكل ،وتعاني دواراً معظم الوقت ،كما انها تبدو كالاشباح "

فعبست هيلين :

" ياللمسكينه لوسي.انا آسفة لاجلها.وانا اعرف شعورها، لانني عشته .يالهي كم اشعر بالغباء ما ان

تغلبت على احساسي هذا! وانا لا افهم كيف اوصلت نفسي الى تلك الحاله من اجل هذا الرجل. "

فأجابت كلير :

" اظنك كنت ،كما قلتمن قبل ، سريعة التأثر، بسبب بول "

وأومأت هيلين:

" نعم. لقد التقيت بدنزل ،وكان لطيفاً ومتفهماً "

ولما لاحظت السخرية على ملامح كلير ،توقفت عن الكلام ، ثم عادت وأضافت

" لا، كان على هذه الصوره حقاً! بدا مسانداً ومتعاطفاً جداً.أما أنا فكنت ابحث عن شيء ، اي شيء ليمنعني من التفكير في بول .لذا تعلقت بدنزل بلاك. أظنهم يسمون الحالة "تحويل" فأنت تحولين

شعورك من رجل الى اخر حاول ان يساعدك على تخطي الاول "

ثم ضحكت بحدة ،وتابعت :

" لكن ذلك لايساعد ايضاً.وبطريقة ما يزيد الطين بلة، فقد توقفت عن الاكل والنوم، ولم استطيع التفكير الا فيه .ولا عجب انني اصبت بانهيار عصبي في النهاية.ولكن ،ما ان عدت الى بول ، حتى ادركت أن علاقتي بدنزل كلها هراء ليس الا.فلم أكن مرة مغرمة به،وهو بكل بساطة ،كان يتسلى معي"

وانعصر صوتها ووجهها وهي تردف:

" انه رجل معقد تماماً،يتلاعب بالناس ولا سيما النساء. "

راحت كلير تنصت بانتباه،وهي تراقبها بمزيج من الشفقة والرعب وفروغ الصبر .وأضافت هيلين باختصار:

" لوسي صغيرة في السن ولن تجيد التعامل معه ،ياكلير .قد ينزف جرحها بشدة، إت أخذت ألاعيبه على محمل الجد "

فردت كلير ببطء:

" اعرف. وهذا مايخيفني .فأنا لا اعرف كيف أوقفها .وهو لن ينصت الي,كما لن تفعل لوسي "

" الا تستطيعين اقناع مايك بالمجيء قبل الوقت المحدد وتقديم موعد الزواج؟ "

لمعت عينا كلير وأجابت :

" هذه فكرة! وانا متأكدة من أن لوسي ما زالت تحبه "

فمنحته هيلين ابتسامه :

" حسناً، امل ان ينجح ذلك،فانا أحب لوسي.والان ، آسفه علي الاسراع ،مازال أمامي الكثير من العمل اليوم سأرسل إليك دعوة للزفاف ،ما ان تجهز البطاقات .اراك قريباً ياكلير "

وفي ذلك المساء، وفيما كان الجميع الى مائدة العشاء، سألت كلير لوسي بلهجة عادية:

"متى سيعود مايك بالتحديد؟ ألا يجدر بنا الاعداد للزفاف قريباً؟ "

بدا وجه لوسي كبياض الثلج ،ثم تمتمت من غير أن ترفع رأسها :

" مايك لن يعود "

رفع الجميع رؤوسهم ،وراحوا ينظرون اليها بحدة .اما كلير فسألت وقد بدت متفاجئة وغير مصدقة:

" لن يعود؟"

" لقد عرض عليه عقد عمل لثلاث سنوات ،ويريد أن يقبله.ولا ينوي أن ينوي ان يعود مجدداً حتى تنتهي مدة العقد. "

بدا صوت لوسي مرتجفاً، عالياً وحاداً ،اما شفتاها الشاحبتان فارتعشتا وهي تتكلم.

" ولكن ماذا سيحدث بشان الزواج. هل سيؤجله، أم...؟ "

" لقد طلب مني ان اطير الى افريقيا، كي نتزوج هناك. "

وانفعلت لوسي بغضب وهي تتابع:

" لن يحضر الزفاف أي من اصدقائي .وحتى لو تمكنتم من دفع مصاريف الذهاب والاياب ، لن يكون زفافاً

حقيقياً! وانا التي لطالما خططت لزواجي في كنيستنا ،مع اشبينتي وباقة أزهار فيما الة الارغن تعزف و.." وفجأة ،ابعدت كرسيها ،ونهضت والغصة في حلقها ،ثم اكملت :

" في الواقع ،لن ارضى باحتفال سريع في مكان غريب، من دون وجود احد تقريباً.لذا ،يمكنه أن ينسى الامر! "

ولما هرولت خارج الغرفة ، اطلق روبن صفيراًعالياً،ووجهه كئيب:

" الى متى ستبقى شعاع الشمس الذي ينير المنزل؟ لم لا يستطيع مايك أن يعود ويتزوجها بكل بساطة، ثم يخبرها عن أفريقيا؟ "

وتبادلت كلير ووالدها النظرات.

" الان عرفنا لم تتصرف بغرابة مؤخراً ياكلير! "

" ألديك عنوان مايك في أفريقيا يا ابي؟ لا بد ان لديهم هاتفاً في تلك الكلية.لعلنا نقنعه بالعودة للزواج. "

" قد نستطيع ذلك فعلاً.ولكن ،حتى لو فعلنا ،اتساءل ان كانت لوسي تود العيش في افريقيا بعد ذلك."

وما ان سمعت صوت ابيها الرقيق حتى عبست وقالت:

" أفهم شعورها بالخداع لأنها لن تحصل على هذا الذي لطالما حلمت به يا أبي؟ فلطالما كانت لوسي فتاة رومانسية.ولا أظنها عنت أنها لاتريد العيش في أفريقيا ، بل تريد زفاف أحلامها أولاً "

تمتم جورج سامر بجفاء:

" أتساءل عن ذلك .أظن أن لوسي تبدي ردة فعل ازاء اي تغيير من أي نوع . فهي لم تعش يوماً في مكان غير هذا، ولا تريد ذلك أيضاً.اخشى أنها مازالت تتصرف كالاطفال .والا ،لقبلت قراره من دون ان تنتابها نوبة الغضب هذه، هذا اذا كانت تحبه، وتحترم خياراته "

ثم هز رأسه وتنهد قبل ان يردف :

" كلا يا كلير ، لا اعتقد أنه يجب ان نتدخل.فهذا الامر يعنيهما .ومن الواضح أن مايك وجد المكان الذي يحبه ،ويريد العيش فيه ، كما وجد عملاً يرغب في ممارسته ،وعلى لوسي ان تواجه هذا الواقع.اما ان ارادتِ التحدث الى احد ، فتحدثي اليها ودعيها تفهم أن الحياة لا تعني ان ينفذ الناس مشيئتها ،ويسلموا لها دائماً. والزواج خاصة،ينص على التسوية،فيتوافق

الشخصان على الامور بالتساوي.وبصراحة ،اظن أن لوسي قد نضجت بما يكفي لتفهم هذا "

فأجابت كلير بقدر من السخرية:

" ربما الخطأ خطؤنا ، لعلنا أفرطنا في تدليلها "

وعلق روبن وهو يضحك:

" لا شك في هذا. فلوسي فتاة لطيفة ، لكنها اعتادت على العيش وفق طريقتها الخاصة، ولامجال لانكار ذلك. ولطالما تساءلت كيف عساها تعتاد على الحياة الزوجيه.فكما تعلمان ، مايك ليس برجل يسهل التغلب عليه، وهو لن يسمح لها ان تسيطر عليه كما تفعل معك ومع ابي. "

ضحكت كليري امامه ،لكنها ،في سرها، ادركت ان كلامه وكلام والدها ينطوي على قدر من الحقيقة.ومع أن لوسي فتاة مدللة ، الا أن ذلك لم يمنع كلير من

القلق من علاقتها من دنزل بلاك. في الواقع ،اشتد قلقها الان. فمن الواضح أن لوسي باتت أكثر حساسية في الوقت الحالي. ولا بد أن دنزل بلاك تمكن من الاقتراب منها بهذه الطريقة أما السؤال ،فإلى أي مدى لوسي متورطة معه؟ أهو يساعدها في أزمة فحسب، ام أن في المسألة أكثر من هذا؟

لاحقاً، كانت نتظف مائدة الطعام ، حين تناهت اليها خطوات لوسي في الرواق،وهي تتجه نحو الباب ، فسارعت لتعترضها. لكن لوسي نظرت اليها بتحد، وعيناها حمراوان عند حافتهما، بشكل يثير الشك.

" انا خارجة! "

" في هذه الساعة؟ انها تقارب التاسعه! "

" لست بطفلة !فكفي عن معاملتي هكذا! "

شعرت كلير برغبه في صفعها ، لكنها نجحت في التحكم بأعصابها بعد جهد.

وأضافت لوسي بسرعه وكأنها قرأت تعابيرها:

" سألتقي أحدهم من أجل مهرجان المدرسة "

فسألتها كلير بحدة :

" أهو دنزل بلاك؟ "

وسرعان مالمعت عينا لوسي بخوف،وسألتها: " ماذا؟ "

في الواقع، ارادت لوسي ان تستغل عامل الوقت لمصلحتها ، وان تتبين كم من المعلومات التي تعرفها كلير، والكم الذي معرفته ،لترى كيف يمكنها أن ترضيها.وأعلنت كلير بنبرة هادئة:

" اعرف انك تقابلينه ،وانه يساعدك في المهرجان .فقد اخبرتني مديرتك كل شيء... لم لم تذكري لي الامر؟ لم تخبريني مرة أنك ترينه مجدداً "

فلوت لوسي فمها ،وردت :

" عرفت كيف ستكون ردة فعلك. لقد أوضحت لي أنك لا تريدين مني مقابلتته مجدداً، ولم اكن ارغب في مجادلتك في الموضوع "

عندئذ ،انبتها كلير :

" لم اظن انك ستكونين بهذه السرية،منذ متى وانت تقابلينه؟ "

فأجابت بعبوس :

" لقد صادفته في البلدة في نهاية احد الاسابيع ،واخبرته عن المهرجان، وحين قلت له انني احتاج الى بعض النصائح عن المسرح، ابدى لطفاً غامراً، وعرض مساعدته "

هتفت كلير بجفاء:

" بل صادف أنك طلبت منه المساعده. "

عندها نظرت اليها لوسي بغضب:

"حسناً، ربما كنت واضحة. لكن لم استطيع تفويت هذه الفرصة. لقد تحمس جميع من في المدرسه، وأظن أن دنزل يستمتع بوقته أيضاً. فهو مهتم فعلاً،وقد اقترح العديد من الافكار الجيدة .كما يتعامل مع العمل باحتراف ،وليس كمجرد مجهو د مدرسي يقوم به بضعة هواه..."

قاطعتها كلير وهي تقطب جبينها :

" أشك في أن شخص مثله سيهتم بما يظنه عمل هواة .فهو محترف مهم، ولم يكن يحق لك ان تطلبي منه ذلك..."

فردت لوسي بحدة:

" كان باستطاعته ، ان يتذرع بعمله ،لكنه لم يفعل .واظن انه يستمتع بوقته.واعرف أن الاطفال يعشقونه

"

ثم حدقت في كلير وأكملت :

" وانا كذلك! اليس هذا ماتودين معرفته؟ أنت تشكين في أنني مغرمه به،هذا واضح تماماً.ماذا يجري؟ هذا هو السؤال الذي تتحرقين الى طرحه ،فأنا أعرفك جيداً.انه لايحاول إغوائي ،بل هو في غاية اللطف والود، ويراعي مشاعري "

فأجابت كلير وقد استحالت عيناها داكنتين غضباً :

" يمكنني تصور ذلك "

" بل لايمكنك ! فأنت تفتقرين الى أي مخيلة .ولا تملكين الا سوء التفكير .في الواقع ، كنت بحاجة الى انسان أحادثه ،فأخبرته مشاكلي ،وأنصت الي. وكان

هذا كل ماحتاجه..إنسان يستمع الى شكواي ،ويهتم بي ،وياخذني على محمل الجد "

فهتفت كلير بغضب:

" ما كان ينبغي أن تتحدثي إليه، بل الى مايك! "

" مانفع التحدث الى مايك وقد اتخذ قراراً بشأن حياته، ولم يكلف نفسه عناء سؤالي عن الحياة التي أريد؟ اتضح لي أن ما من صفة مشتركة بيننا بعد الان. "

أصيبت كلير بالرعب، وما كان منها الا أن رمقتها بنظرة غريبة، فالوضع أشد سوءا مما كانت تظن.

" لوسي ،أنت تحبين مايك،فأنت مخطوبة اليه منذ اشهر. على الاقل ، تكلمي معه في الموضوع. لايمكنك الاكتفاء بالرحيل .ألا يستحق منك هذا ؟ كيف له ان يدرك شعورك إن لم تخبريه به؟ "

" استطاع دنزل أن يتفهمني ،فلم لا يتمكن مايك من ذلك؟ "

" لا يسدي اليك دنزل أي معروف ، بتشجيعك على التحدث اليه عوضاً عن الرجل الذي يفترض أنك ستتزوجينه. لوسي، انه يسبب لك المشاكل ،فتوقفي عن مقابلته بكثرة.ستصبحين مثل هيلين قبل ان تنهار بسبب فقر الدم. "

ضحكت لوسي بغضب وقالت:

" ولكنني مصابة بفقر الدم ! ولا تدخلي هيلين في الموضوع! فدنزل لم يتسبب بمرضها، بل لطالما كانت هي عصبية "

" هذا ليس صحيحاً. كانت هيلين دائماً مليئة بالسعادة والحيوية حتى التقت بدنزل بلاك. "

فترددت لوسي قبل ان تقول بنزق:

" علي اي حال، ما علاقة كل هذا بي؟ لقد عادت الى بول الان،وبدت لي بحال جيدة في المرة الاخيرة التي رأيتها فيها "

تنهدت كلير ،وهي عاجزة عن إنكار أن هيلين تغلبت الان على دنزل .لكنها لم تشأ الاستسلام.

" لوسي، لم لا تتصلين بمايك، وتتحدثين اليه صراحة ؟ سأدفع ثمن المكالمة .فاتصلي به الان، هذه الليلة. "

بدت بشرة لوسي شاحبة للغاية ،وارتعشت شفتاها وهي تقول:

" لا، لا أريد التحدث اليه .لقد انتهي مابيننا .وسأرسل له خاتمه .اسمعي ، علي الذهاب .قلت لدنزل إنني سأصل عند التاسعه،وقد تأخرت "

سألتها كلير وقد عيل صبرها :

" لم ألح عليك لرؤيتك الليلة بشأن المهرجان؟ "

فنظرت اليها لوسي بعيني لامعتين جامحتين، واجابت :

" حسناً لا يتعلق لقاؤنا بالمهرجان. بل أريد رؤيته وحسب "

واذا بيد جليدية تعصر قلب كلير، فرجتها وهي تحاول أن تمسكها :

" لوسي ،لاتذهبي. انه خطر عليك، الا تفهمين ذلك؟ أنظري الى نفسك بحق السماء، تبدين رهيبة! "

فدفعتها لوسي عنها بقوة :

" ليس هذا رأي دنزل!انه يقول إن وجهي ملائم للتصوير . واسمعي هذا! يريد أن يخضعني لتجربة فيلم، وسيضمني الى فريق فيلمه الجديد

# 5 – قانون كلير

في تلك الليلة تقلبت كلير في فراشها .فكيف يمكنها النوم،وأختها توشك ان تدمر حياتها بنفسها؟ وحين اخبرتها لوسي عن تجربة الفيلم، ودورها في فيلم دنزل بلاك الجديد، ارتكبت كلير خطأ الصراخ بغضب:

" أنت لا تعتقدين أنه جاد في قول؟ "

" يقول لي العديد من الناس انه يجدر بي التمثيل؟ "

ثم اشاحت عنها بغضب مماثل ، وأخذت تتأمل انعكاسها في المرآة الجدارية بتمعن طويل .فما كان من كلير الا ان ضحكت من غرور أختها السخيف ثم عمدت الى مضايقتها:

"أنت تقصدين العديد من الرجال الذين يرغبون في مواعدتك أليس كذلك؟ "

وبالطبع،تلقت نظرة غاضبة من لوسي التي دمدمت بحدة:

" لكن دنزل يعني مايقول .وهو لا يتبجح! سأخضع لتجربة الفيلم يوم السبت ،فتقبلي هذا الواقع! "

سكتت كلير،وقد علت الصدمة وجهها ، مما دفع لوسي الى رسم ابتسامة ظافرة صغيرة على محياها،وقد اسعدتها ردة فعل أختها .واخيراً،أضافت بعنف:

" ولا تظني أن بإمكانك ردعي.فهذه حياتي ،وليست حياتك .لم أعد طفلة بعد الان ،لذا توقفي عن التدخل "

لكن كيف باستطاعة كلير أن تفعل هذا؟ فمنذ وفاة والدتهما ،وكلير مسؤولة عن لوسي والصبيين. اما

جورج سامر ،فكان والداً عطوفاً، لكنه تقليدي في تفكيره، وقد نسأ مؤمنا أنه من واجب المرِأه أن تربي الاولاد وتدبر شؤون المنزل .لذا ، عندما ماتت زوجته ، ترك هذا الدور لابنته الكبرى من غير ان يعيد التفكير في ذلك. وهي نفسها لم تحاول أن تتملص مما اعتبرته واجبها.وكان بقية الاولاد في ذلك الوقت بحاجة الى حنان الام ورقابتها ورعايتها .ولم تكن المهمة سهلة على كلير ،الا انها بذلت مابوسعها. ولو كانت حرة لتتصرف على هواها ،فتخرج كل ليلة ،وتعيش لنفسها وتستمتع بوقتها ،لاصبحت حياتها مختلفة تماماً. ومع مرور السنوات .بدأت العلاقات التي تبنيها تذبل ثم تموت ،لاسيما مع افتقارها لوقت الفراغ. فقد توقع منها الرجال أن توفر ولو قليلاً من الوقت لهم.ولم يشاؤوا ان يصطفوا من أجل الحصول على قدر من

اهتمامها، ولا يرغبون في منافسة صبي يعاني من الحصبة، او والد مصاب بالانفلونزا ويحتاج الى رعاية دائمة .وهكذا ،استسلم اشد الرجال صبراً، ورحلوا عن حياتها.

أما من ناحيتها ،فلم تكن جدية بشأن اي منهم ،باستثناء هال طبعاً.وحين تستعيد ذكرى هذه العلاقة، تدرك أنها لم تعره كل اهتمامها يوماً.لذا ربما لم يكن مخطئاً كلياً في ما أقدم عليه، فهي كانت من الانغماس في رعاية عائلتها بحيث لم تشأ أن تقع في الحب.وربما باتت هذه عادة ،ولعل لوسي محقة ،فهي فعلاً تحاول إدارة حياتها عنها. ولكن حين تراها متوجهة نحو الخطر مباشرة ،كيف يسعها أن تكتفي بالتفرج ،وتدعها تمضي نحو مصيرها؟

وبعدما امضت ليلة قلقة ،نهضت من فراشها ،شاحبة الوجه،ولا شهية لها للافطار .وحين القت نظرة على نفسها في المرآة ،تعرفت بحزن الى عوارض ضحايا دنزل بلاك، وقد بدأت تبدو على محياها. وسرعان ماسرت فيها قشعريره. فما الذي دفعها الى هذا التفكير بحق السماء؟ لن يحدث لها هذا أبداً! لاسيما انها تعرفه تماماً، فرجل كدنزل بلاك لا يقوم بألاعيبه في وضح النهار ،بل يتخذ ضياء القمر والموسيقى الرومانسية حليفين له، ويستهدف دائماً نساء كهيلين ولوسي، أي نساء حزينات ،وحيدات ،يتقن الى القليل من الرومانسية. لكنه، لن ينجح في مبتغاه ، على الاقل ، ليس مع لوسي .وقررت كلير بعزم ان تنقذ اختها، حتى ولو لم تشأ

لوسي ذلك .قد تكون المرة الاخيرة ، ولكن كلير لن تتنحى جانباً، وتشاهد أختها وهي تدمر حياتها ،لاسيما حين يكون باستطاعتها أن تضع حداً لما يجري

.

وباشرت أولى خطواتها في الصباح حيث اتصلت بمايك في دار المعلمين وبدت في صوته نبرة كئيبة:

" اتتصلين بي لتخبريني أن لوسي التقت بشخص اخر؟

"

فتفاجأت كلير: " ما الذي يجعلك تعتقد .."

ولكنه قاطعها :

" لست غبياً واستطيع أن اقرأ مابين سطور رسائلها. فقد تغيرت في الاشهر القليلة الماضية "

" مايك انها غاضبة منك كثيراً، وما من شخص اخر في حياتها .كانت تتحرق شوقاً الى يوم زفافها منذ مدة

طويلة ، ولعلك أنت لا تدرك كم تهتم المرأه بهذه المسائل.

كانت تتكلم في سرعة ،وتختصر في شرحها ،وهي تحاول أن تقنعه بوجهة نظر لوسي .وحين توقفت ،قال مايك وقد فرغ صبره:

" لكني اذا عدت الى المنزل لاسابيع قليلة بهدف الزواج وقضاء شهر العسل ،فسيكلفني ذلك مالاً كثيراً. ظننت أنه من الافضل أن نتخلى عن حفل زفاف مكلف ،اضافة الى رحلتي الى الوطن ،وبدلاً من ذلك ،نستخدم هذا المال لشراء معدات لمنزلنا الجديد هنا .بدا لي هذا منطقياً أكثر.

فخففت عنه كلير بلطف :

" أنت محق طبعاً..لكن ،يا مايك... لوسي فتاة رومانسية ،وقلبها يحلم بزفاف أبيض، مع عائلتها وكل

أصدقائها،في الكنيسة التي عرفتها طيلة حياتها.وتلك هي طريقتها في بداية حياتها معك.هكذا يعمل ذهنها ،يا مايك ، وهي تهتم كثيراً بالعائلة والتقاليد.وحتى في صغرها ،كانت تحب ان تُروي لها القصص قبل النوم بالطريقة نفسها كل مرة .وهي تكره التغيير الذي يطرأ على روتينها ،وتملك عقلاً تقليدياً جداً "

ثم توقفت قليلاً، وأردفت بنعومه :

" أليس هذا ما أحببته فيها؟ "

صمت مايك قليلاً، ثم سألها باختصار:

" أتظنين أنه علي أن استسلم لرغباتها ،فأوافق على عرس ابيض كبير في الوطن؟ "

" أنا متأكده من ان لوسي تحبك يامايك ،وان الحزن سيتملكها إن خسرتك .اسمع لدي فكرة ،مارأيك في ان تسافر لوسي اليك في الحال ،فتشاهد بنفسها اين

ستعيشان معاً، وبما أن مدرستها تقفل ابوابها لعطلة قصيرة من ابتداءً من يوم الجمعه ،يمكنها أن تقضي معك اسبوعاً.

أجفل مايك وقال:

" سيكون هذا رائعاً ، لكن ...تعرفين أن بطاقة السفر غالية الثمن ،وأنني لا أملك مالاً كثيراً "

" سأدفع ثمنها،فتكون جزءاً من هديتي لزواجكما .لكنني اريد التأكد من انك ستلاقيها في المطار وتعتني بها. "

" طبعاً سأفعل ذلك! لاتقلقي! "

ولما شرع الحماس يتغلغل في صوته، ابتسمت كلير.

" أيمكنك ان تحجز لها في فندق بالقرب منك؟ "

" قرب دار المعلمين فندق يقيم فيه أهالي الطلاب حين يزورون أبناءهم . "

ثم سكن قليلاً، قبل ان يتابع بريب:

" كلير ،هل كلمتها بشأن هذه الفكرة ؟ أعني ،هل تريد أن تأتي ؟ بامكاني ان أتصل بها،و... "

" لا ،لا تتصل بها يا مايك، فقد أرادت أن أكلمك أولاً، وأتأكد من أمكانية تحقق الفكرة .لكنني على يقين من أن لوسي ستسعد كثيراً.ولن افاتحها في الموضوع قبل أن أتمكن من حجز بطاقة أفاجئها بها في الاسبوع. دع الامر لي. سأتصل بك مجدداً صباح الجمعه، لأعلمك بالتدابير التي تمكنت من تحضيرها. "

بدا من السهل على كلير أن تؤمن بطاقة سفر للوسي، لكن كان عليها القيام بتدابير أخرى قبل أن تفتح الموضوع مع أختها.

وفي وقت لاحق من ذاك العصر، قادت سيارتها الى البلدة المجاورة ،وأمضت بعض الوقت في متاجر

مختلفة. ومع أنه صعب عليها الحصول على ماتبحث عنه ،الا انها تمكنت في النهاية من تأمين كل شيء.ثم تركت مساعدتها الجديدة في المكتب ،وعادت الى المنزل في وقت كانت متأكدة من أنه خال.فأبوها يمارس رياضة الغولف مع اصدقائه، والباقين لن يعودوا الى المنزل طبعاً قبل انتهاء دوام المدرسة . وكان ذهن كلير عملياً جداً. وقد تلقت مختلف أنواع المعلومات المفيدة من أبيها وأخوتها على مر السنين .فقضت ساعات في مشغل جورج سامر، المزود بمختلف المعدات ،ثم نقلت ماحضرته الى سيارتها، قبل وصول والدها ولوسي بقليل.

" لقد عدت الى المنزل باكراً. "

فابتسمت كلير لأبيها، وقالت :

" قررت التوقف عن العمل عند العصر ،لاسترخي قليلاً.لكنني أعددت الطعام .ففي الفرن طبق ، سأضيف اليه البطاطس.وسأعد لك كوباً ُ من الشاي ،قبل ان تستحم "

جلس ابوها بسعادة ،وراح يخلع حذاءه المغطى بالوحل ،فيما هو يتحدث عن الغولف،بسحر المدمن الذي لا يدرك ان لا يستمع الى كلامه. أما كلير ،فكانت تنصت اليه تارة ،وتفكر في مخططاتها لهذا المساءفوراً. وقد ولدت الاثارة فيها اضطراباً عكر صفو معدتها ،حتى بلغ اعصابها،وباتت تجد صعوبة في التركيز على أي عمل آخر. وأخيراً،صعد جورج سامر الى الاعلى ، وفي يده فنجان الشاي .فسألت كلير لوسي بصوت جاهدت ليبدوا عادياً:

" ماذا تفعلين الليلة؟ أستخرجين مع دنزل بلاك مجدداً؟ "

" كلا ،لقد قال دنزل إن لديه الكثير من الاعمال المكتبيه الليلة. كما انه سيأوي الى الفراش باكراً لذا ،طلب مني أن أقضي مساءاً هادئاً بدوري فأسترخي ، وأنام جيداً بانتظار تجربة الغد. "

ثم تمتمت على عجل وهي شاحبة الوجه:

"يسهل عليه قول هذا.لكنني من الهلع ،بحيث لا أقوى على الاسترخاء .أما عن النوم ،فأنا متأكده من أنه لن يغمض لي جفن الليلة "

وراحت كلير تراقبها وهي تطوف في المطبخ وكأنها تبحث عن شيء ما، فتغير مكان بعض الاواني ،ثم تنظر من النافذه الى أزهار النرجس التي أزهرت في الحديقة.

" لم لا تذهبين الى السينما؟ لقد طلب مني جايمي أن آخذه الى هناك الليلة ،ولكن لا أشعر برغبة في ذلك.

"

فأحست لوسي بالاغراء، لكنها بدت مترددة .

" قال دنزل إنه يجدر بي ان ارتاح... "

" لكن الذهاب الى السينما مريح. فكل ماستفعلينه هو الجلوس في الظلام ومشاهدة فيلم.

" لكن دنزل قد يتصل بي بهدف الاطمئنان علي. "

فأجابت كلير بجفاء:

" سأخبره حينها أنك ترتاحين "

عندئذ ،ضحكت لوسي وقالت:

" لقد اقنعتني! "

ولما كان أبوها وروبن مرتبطين مواعيد هذه الليلة ،وجدت كلير نفسها وحيدة في المنزل عند السابعه

والنصف. وما أن حانت الساعه الثامنه الا ربعاً ،حتى انطلقت في طريقها الى كوخها.

وحين ركنت سيارتها في الخارج، رأت وجه دنزل يطل من النافذه العليا. كان الليل قد خيم ،فيما نور شحيح ينير غرفته، راسماً هالة حول رأسه .رأت عينيه تحدقان فيها،وفمه يلتوي بابتسامه مزعجه ،فأحست برعشة تسري فيها.

كان يرتدي قميصاً حريرياً أسود غير مزرر بإحكام ،أم تراه ثوب نومه؟ فتح النافذه ليتكلم معها ،فنفخت الريح في قميصه، حتى لمحت تحت الرداء الناعم تفاصيل جسده المشدود. واذا بحلقها يجف، فتبتلع ريقها بعصبية. حتى من تلك المسافة ،شعرت بذبذبات تتغلغل في جسدها ،فسرى دمها في أعضائها بسرعه ،وتدفقت موجات الخوف فيها في مد وجزر

متواليين. وما كان منها الا ان اقنعت نفسها بأنه الخوف على أختها ليس الا. وهي لا تخشاه أبداً،وتستطيع التعامل معه .ثم ،انها لا تخشى على نفسها أبداً. سألها:

" هل تريدينني؟ "

ميزت بوضوح السخرية التي تنطوي عليها كلماته ،وشعرت ببشرتها تحترق.واخيراً .قالت ،وهي تختار كلماتها بعناية: " أريد التكلم معك "

فأعلن ،وذلك البريق الساحر لا يفارق عينيه الداكنتين:

" كنت أتساءل متى سأسمع صوتك .وأيقنت أنني سأراك ما أن تكتشفين أنني اقترحت على لوسي أن تخضع لتجربة تلفزيونيه. "

لكن كلير لم تجب ،فقد جعل التوتر أسنانها تصطك حتى آلما فكها. أنه لاذع حقاً، وهذا ما يضايقها .ان امكنه أن يتكهن بردة فعلها ،فهل بمقدوره ان يعرف الى اي مدى ستصل لكي تحبط مخططاته بشأن لوسي؟

قالت وهي تتصنع البرودة:

" هل تعتقد أن بإمكانك النزول ؟ فأنا لا أريد أن اصرخ لابلغك كلامي "

" يا للأسف، كنت افكر في رومانسية هذا المشهد .انه مشهد الشرفه في مسرحية روميو وجولييت، مع انقلاب الادوار،اذ يحتل روميو الشرفه ،فيما تقف جولييت تحت نافذته. "

فردت كلير بحدة :

" هلا تفضلت ونزلت؟ "

ضحك وقال:

" لقد لاحظت قبلاً انك لا تملكين حس الدعابة .حسناً، كنت أقرأ في السرير، وأنا أرتدي البيجاما، فأمهيليني كي أبدل ملابسي قبل ان أنزل، وان كنت مازلت تملكني المفتاح تفضلي بالدخول "

وأغلق النافذة قبل ان تبدأ كلير بالرد :

" بدل ملابسك "

وماتت الكلمات على شفتيها .كان عليها أن تستجمع أنفاسها استعداداً لنتفيذ خطتها .ففي هذه الليله عليها ان تصفي ذهنا ، والاتدعه يفلت من يدها ، والا فعلى الدنيا السلام.

وفيما كانت تدخل الى الكوخ نزل دنزل السلالم. بدا رائعاً في ردائه الاسود المنسوج من الساتان. وشعرت كلير بأنفاسها تنحبس في حنجرتها .

كانت عيناه الرماديتان تتفرسان فيها من رأسها الى أخمص قدميها، حتى أحست وكأنهما تركتا بصمات على بشرتها.ومالبث أن سألها:

" أتريدين شراباً؟ "

كانت ترتدي كنزة زرقاء شاحبة من الانقره، ويحيط بعنقها عقد من اللآليء، فيما تنورتها الرمادية تماثل السترة التي تلبسها لوناُ.ولم تكلف نفسها عناء تزريرها، فالجو في الربيع دافيء، وهي غالباً ماتتجول في سيارتها.وهكذا ، كانت ملابسها دائماً كلاسيكيه وبسيطة وانكليزيه الطابع. ورغم ذلك حست أن نظراته جردتها من ملابسها تقريباً، فارتعشت امتعاضاً. ثم تذمرت وهي ترجو أن يقرأ العدائية في عينيها :

" لا ،شكراً "

لكن، ولو فعل، لم يقدم الا على الضحك .ومالبث ان ابتسم لها ابتسامه ساخره.

" أما أنا ،فبحاجة الى شراب .يبدو أنك أتيت لاثارة المشاكل،وبما انك صعبة المراس ،ساحتاج الى شراب قوي كي أقاومك! "

وسار نحوها متوجهاً الى المطبخ، فسارعت تستند الى الجدار، لتتنحى عن طريقه. غير انه توقف فجأة ،وأسدل نظراته عليها ،ولهيب نار في عينيه، دفع كلير الى الابتعاد بإجفال أكثر.

عض على شفته وقال لها:

" لاتفعلي هذا! "

فسألته بدفاع وهي ترى فمه يلتوي:

" ماذا؟ "

" أنت تتقلصين في كل مرة أقترب فيها منك.ماذا الذي تخشينه مني؟ "

وازداد دنواً منها، حتى كاد يلامسها، وشعرت كلير بالدم ينبض في عنقها.لكنه رفعت رأسها ،ونظرت عيناها الزرقاوان اليه بتحد،ثم ردت بحدة:

" ربما مما تفعله الآن! تجرأ على لمسي بإصبع واحد وسوف..."

ابتسم بكسل ،ثم رفع سبابته ولا مس عنقها، حيث يخفق نبضها.وأخيراً همس:

" وسوف ماذا؟ "

ابتلعت كلير ريقها ،وقد انحبست أنفاسها ، وشغلتها المقاومة عن اي محاولة للكلام .فمرر إصبعه بتمهل على طول عنقها، وكأنه يتبع شريانها ، مما دفع الدم

الى التدفق بسرعة أكبر وحرارة أشد. وأخيراً تمكنت من القول:

" توقف! "

عندها وثب اصبعه الى خدها،وداعب حناياه المرتعشه.

وتمتم بنعومه :

" أتعلمين ؟ ثغرك يفضح أسراراً.ومع أن هاتين العينين الزرقاوين فيهما من البرودة ما يقول "إرفع يدك عني!"، الا ان هذا الفم هو إغراء صرف، وينبئ بأسرار مختلفة تماماً "

جمعت كلير غضبها ،عساها تخفي اضطراباً وهتفت :

" انه يقول أنك ان لم تتوقف عن لمسي ،فأقسم أنني سأضربك بالآله الحادة الاقرب "

ثم دعمت كلامها بدفعه عنها بيديها الاثنتين. لكن ملامسته كانت خطأ،بل خطأ فادحاً. فالامر أشبه بمحاولة دفع جدار حجري متين. ولانها ما أن لا مست رداء الساتان الاسود بكفيها ،حتى تقدم نحوها ،الى ان اوقع يديها في الشرك ،وباتت وكانها سجينته. حاولت ان تحرر نفسها وقد انحبست أنفاسها ،وهي تحت وقع نظراته القاتله من تحت أهداب تكاد تكون منسدلة .وتعمد ان يميل اليها .ويداه تمتدان كل الى ناحية من ناحيتي رأسها ،زمجرت :

"ابتعد عني! ان كنت تظن أن بامكانك ان تمارس معي الألاعيب التي تمارسها عادة مع النساء،فأنت مخطيء!

"

لكنه تمتم :

" هذه ليست بلعبة، يا كلير. بل انها الحرب، وانت سجينتي "

وما لبث ان دنا منها أكثر أكثر، فيما صوته يقارب الهمس:

" يا للمسكينه كلير... انها سجينه عاجزة "

ومع انه كان يبتسم ، الا ان عينيه بدتا عميقتين ، داكنتين ،حتى عجزت عن التخلص من وطأة سيطرتهما. وكان بها توق مخيف الى اغماض عينيها. فلنظراته تأثير التنويم المغنطيسي ، ومبادلته النظرات تشل ذهنها ،حتى امسى التفكير عملية عسيرة واستبد بها وهن شديد ،وودت لو تكف عن. مقاومته، وعن مقاومة هذا الشعور الذي ولد فيها.في هذا الوقت، كانت حدقتاه المظلمتان تسبران أغوارها ،فنظرت اليهما وارتجفت.

وراح عقلها يصارع جسدها ،فيذكرها ببرودة أن هذا هو مايقترفه ذلك الرجل في حق النساء !فكيف لم تتعرف الى هذا الاحساس الذي يجتاحها ،الوهن ،الحمى ،الحاجة...كيف لم تكتشف كل هذا ؟ فهيلين أخبرتها بنفسها كيف باتت مهووسة بهذا الرجل .بل قالت لها انه يثير المشاكل للنساء، وكانت محقة .ولم تدرك كلير الا في هذه اللحظة الخطر الذي يمكن ان يشكله ،فاخذ قلبها يخفق بشدة بين أضلعها. ما كانت لتقوى أبداً على منعه من معانقتها .لكن ما أن دنا منها أكثر حتى رن جرس الهاتف ،فتصلب دنزل ،ثم رفع رأسه ليطرق السمع:

" اللعنة.مواعيد بعض الناس عجيبه.كان علي أن أشغل المجيب الالي. "

وتابع الهاتف رنينه .لا يعرف رحمة,فما كان منه الا ان ابتعد بتنهد:

" أخشى أنه علي الاجابة،فأنا أتوقع اتصالاً مهماً"

ثم نظر اليها من تحت أهدابه ،مبتسماً وقال:

" لاتذهبي "

وفيما توجه الى غرفة الجلوس ،استندت كلير الى الحائط وقد جف حلقها ،وهي بالكاد تقوى على الوقوف ،بينما أوصالها ترتعد.

ولما توقف الرنين ،سمعت بوضوح ،وقد تجلى في صوته الجفاء وفروغ الصبر:

" نعم؟ نعم، أهلاً جو.إذا، هل باشروا به؟ "

ثم سكت ،قبل ان يضيف بسخرية:

" لم أتوقع ذلك... إذاً مالخطوة التالية؟ "

خطت كلير الخطوات التالية بتصلب ،لكن رجليها كانتا من الضعف، بحيث اضطرت الى الجلوس على درجة السلم الاول.واخذت تستمع بشحوب الى الحدة المتسلطة في صوت دنزل في غرفة الجلوس.وعرفت أنه من السهل أن يتعامل مع موظفيه.لكن ،على أي حال، ليس من السهل علي أي كان أن يتعامل معه بمنطق. وبعد برهة اعاد دنزل السماعة الى مكانها،وعاد اليها.في ذلك الوقت كانت قد استعادت رشدها تقريباً، وتمكنت من مواجهته من غير ان تبدي الكثير من الانفعال.

" هل اخبرت لوسي أنها ستكون النجمه الجديدة لفيلمك أو ماشابه؟ "

فرمقها بجفاء وقال:

" بالكاد قلت هذا فلست متأكدً من أنها تستطيع التمثيل حتى "

" اذاً لماذا تخضعها لتجربة فيلم؟ "

" أنها تتحرق شوقاً للعمل في فيلم ،والكاميرا تحبها.لقد التقطت بضع صور لها،وأستطيع أن اجزم أنها ستبدو جميلة في الفيلم أيضاً. ويصادف أن فيلمي الجديد سيصور بالقرب من هنا..."

"أتعني فيلم برونتي؟ "

ابتسم لها ابتسامه محتالة وسألها:

" أهي الاشاعات المحيلة ثانية؟ نعم، اعني فيلم برونتي. ساحتاج الى العديد من الممثلين الثانويين.وسيضم الفيلم أدواراً صامته صغيرة. "

كانت كلير ترتجف غضباً وهي تجيبه:

" أهذا ما تخططه للوسي؟ أهذا ما سترمي بزواجها من أجله؟ ألتحظى بدور صغير صامت في فيلمك الجديد ان حالفها الحظ، والا مثلت دوراًثانوياً مع حشد من الناس لبضعة أيام؟ "

" متى ستتوقفين عن لومي لكل مايصيب غيري؟ لا دخل لمشاكل لوسي مع خطيبها بي، تماماً كما لاشأن لي بمرض هيلين. "

وبعد أن امتلئت عينا كلير بالكراهية ،رأته يقطب جبينه .ومالبث أن قالت له باحتقار:

" لن أضيع وقتي سدى في مجادلتك .لكنني لن أدعك تدمر حياة اختي "

وفي هذه اللحظة، عرفت لماذا جاءت،فوقفت وأعلنت :

" لقد جئت لأجمع بعض الاغراض من الخزانه المقفلة في حجرة النوم الصغيرة .لن يستغرق مني ذلك مني وقتاً طويلاً، وبعدها ،سأمضي في طريقي "

ثم صعدت السلالم ،وتركته خلفها يحدق فيها. وما ان وصلت الى الغرفة الصغيرة،حتى فتحت الخزانه،وهي قطعه الاثاث الوحيد في الغرفة، وتحتوي على أغلب الوثائق المتعلقة بالمنزل. وبعد أن أخرجتها ، خرجت من الغرفة على أطراف اصابعها ،وأطرقت السمع .وتمكنت من سماع دنزل وهو ينتقل بالمطبخ، فانتقلت بهدوء الى الغرفة التي يستخدمها ،واستعدت. وبعد عدة دقائق ، انسلت منها مجدداً.وعادت الى الغرفة الصغيرة،حيث راحت تتصفح الوثائق.

وبعد وقت قصيير ، تناهت اليها خطوات دنزل وهو يصعد السلالم، ثم ظهر عند الباب المفتوح، ووقف فيه يراقبها.

أما كلير، فالتفتت اليه، وأعلنت :

" أوشكت على الانتهاء منها "

فقال، وهو يضع كوباً على الخزانه:

" أحضرت لك عصير التفاح "

عبست كلير وهي ترى محتويات الكوب لا لون لها:

" أنا آسفة،لكنني لاأريد هذا النوع . ألديك عصير برتقال؟ "

" طبعاً، ماذا تريدين أيضاً؟ "

" لا شيء، يكفيني عصير البرتقال. "

هز كتفيه، ثم وضع كوبه جانباً ،ونزل الى المطبخ.وهنا فتحت كلير حقيبتها ،وأخذت منها قرصين صغيرين

.وما أن سمعت دنزل يعود حتى أخفتهما في راحة يدها،واستعدت وهي تسمع الخطى تتسارع على السلالم.

ولما قدم إليها كوب العصير ،تناولته قائلة: " شكراً " ارتشفت قليلاً.فيما التفت دنزل ليمسك بكوبه.

وما كان من كلير الا ان دست القرصين في كوبها ،وهي نتظر الى ظهره بحذر ،ثم ذوبت المزيج بسرعه.

وأخيراً،أدنت الكوب من شفتيها ، وهي تترقب التفات دنزل .فلما فعل ،عبست بوضوح، وأنزلت الكوب مجدداً وهي تتفرس فيه.

" ماذا وضعت فيه؟ "

قطب حاجبيه ورد:

" لم اضع فيه شيئاً "

" ولكن طعمه غريب. "

" ماذا تعنين بغريب؟ "

رفعت اليه الكوب وأجابت: " تذوقه بنفسك "

فأمسك الكوب والغضب في عينيه ،ثم رفعه الى فمه ، وشرب القليل من العصير.

" ليس فيه شيء.طعمه لاذع قليلاً،ولكن تلك حال عصير البرتقال احياناً. "

ورغبة منها في التأكد من أنه شرب مافيه الكفايه ،سألته ببرودة :

" هل شربت منه فعلاً، أم أنك ارتشفت قدراً يسيراً وحسب؟ "

فسدد اليها نظرة رصينة تفتقر الى الابتسام، ثم ابتلع جرعة كبيرة من الشراب، وقال بحدة:

"أترين؟ انه لا يشكو من سوء .لكن لا داعي لشربه اذا لم يرضيك "

ووضع الكوب على الخزانه محدثاً صوتاً عالياً اجفل كلير، فتمتمت في نفسها أن أعصابها متوترة بما يكفي.

" لا داعي لأن تفقد أعصابك !اعتقدت أن طعمه غريب، هذا كل مافي الامر. "

تضاعف الغضب في عينيه، واتخذ فمه شكلاً بارداُ مستقيماً وهو يقول:

" ماذا تظنين أنني فعلت بعصيرك؟ هل اعتقدت أنني وضعت فيه مخدراً ؟ ومن ثم ماذا ؟ أعتدي عليك؟ أهذا ما كنت تفكرين فيه؟ "

أغلقت الخزانه ويداها ترتجفان قليلاً، وحاولت ألا تنظر اليه، ثم ما لبثن ان تذمرت :

"اسمع ،أنا آسفة.ايرضيك هذا؟ "

فهتف بحدة:

" كلا، لا يرضيني .فلم أحتج يوماً الى تخدير النساء. "

عندئذ، فقدت كلير أعصابها بدورها:

"آه ، ألم تفعل؟ حسناً ،ستحتاج الى صرعي بحجر قرميد "

فرد عليها :

" لو كان معي حجر قرميد الآن ،لا ستعملته .ولكن صدقيني ، ليس بهدف إغوائك! فلا يبلغ بي التوق البائس الى النساء هذا الحد! "

أحست بوجهها يحترق .وما كان منها إلا أن استدارت على عقبيها، وخرجت بغضب من الغرفة، وهي تكاد تفقد توازنها. فتبعها عن قرب وكاد يصطدم بها عندما وقفت قرب غرفة نومه. وهنا تذكرت أنها على وشك القضاء على خطتها بانفعالها هذا.

فاستجمعت انفاسها،وحاولت ان تبدو أكثر وداً.وتمتمت وهي تجول نظرها في الغرفة التي تزينها المصابيح الهادئة :

" أرى انك أضفت جواً مريحاً على الغرفة "

بالكاد لاحظت التغيير عندما دخلت الحجرة في المرة الاولى،فهي لم تكن تملك الوقت الكافي لتتأمل الجو عن كثب. أما الان وقد فعلت ،فقد أدركت أنها لا تمت الى الغرفة التي تذكرها بصلة.

كان سقف الغرفة مطلياً بالابيض ،والاثاث في الغرفة قليل قليل. أما الان ،فاكتسى ظلاً دافئاً مشمشياً، وزينت النوافذ ستائر جديدة أكثر عمقاً. كما أضاف عدداً من المصابيح، ومكتباً وضعه قرب النافذة، ومقعداً من الجلد ، وبقربه طاولة وخزانه كتب.وحفلت الجدران برسومات ولوحات مائية مخطوطات وصور.

تثاءب بغتة ، ومالبث أن أجاب بنعاس:

" ألا تعترضين على التغيرات التي قمت بها؟ "

فأسدلت أهدابها ،ونظرت اليه نظرة جانبية ،وراته يتثاءب مجدداً.

" بالطبع لا.لقد أحلتها غرفة دافئة جداً، وأنا أحب الجدران المشمشيه اللون.لا بد أن المنظر رائع صباحا حين توشك الشمس على الشروق.ويا للصور الكثيرة! هل ترسم؟

فأقر بلهجة عادية:

" رسمت بعض هذه اللوحات المائية "

" حقاً؟ أيها؟ "

ومالبثت أن خطت الى داخل الغرفة، ونظرت الى احداها ،فيما دنزل يتبعها وهو يتثاءب بتشنج.

" نعم رسمت هذه. "

فقالت وقد تفاجأت برسمه المتقن:

" إنها جيدة جداً "

إنه يستطيع الرسم فعلاً.ومع أن المنظر الطبيعي حوى تفاصيل قليلقة، إلا ان الخطوط السوداء حملت قوة وتاثيراً لفتا انتباهها.

هز كتفيه بلا مبالاة، وعلق :

" هذا رسم تخطيطي لخلفية في فيلم لي. كنت بحاجة الى تخيل كل تفصيل قبل أن أبدا التصوير، والى درس كل إطار كي نحدد ماسنحتاجه.انظري، هذا مشهد داخلي في منزل، من فيلمي الاخير"

نظرت الى الرسم، واستعادت ذكرى مبهمة لمشهد من الفيلم هذا، وهو مشهد شديد الحميمية تقوم فيه الممثلة الايرلندية المكسيكيه بالرقص لحبيبها. ولما

تثاءب مجدداً، رمقته بنظرة جانبيه سريعة ، فتمتم بعبوس :

" آسف لقد أخبرتك أنني مرهق, ولكنني لم أدرك أنني بهذا الارهاق"

وسرعان ماترنح الى الوراء ، وتهالك فجأة على السرير ، وهو غارق في الحيرة ،فتقدمت كلير نحوه، ووضعت يدها على جبينه.

" لعل فيروس الانفلونزا المنتشر حالياً قد أصابك.ومع أنه فيروس قوي جداً، الا أنه لا يدوم سوى أربع وعشرين ساعه. والان ، من الافضل أن تستلقي. "

" لا أستطيع. فعلي أن أوصلك الى الاسفل... "

ثم سكت قليلاً قبل أن يكمل :

" يا إلهي ،كم اشعر بالغرابة! "

أرجعته كلير بلطف الى الوراء، فلم يبد أي مقاومة ،بل ترامى ببساطة على السرير، ثم أغمض عينيه وهو يدمدم : "رأسي..."

وساد السكون الا من صوت تنفسه الناعم ، فنام مفتوح الفم، متورد الوجه.

مالت كلير فوقه ، وأنصتت وهي تراقبه بعزم .انه في حالة سبات عميقة .وشعرت بنفسها حائرة بين الذهول والانتصار.لقد نجحت خطتها ، من دون أن تصادف أي مشكلة على الاطلاق! في الواقع ،كانت خائفة من ألا تؤثر الحبوب المنومة إلا بعد وقت طويل، فضاعفت الجرعة التي وصفها الطبيب، ونالت ماتتمنى بسرعة.

وأخذت نفساً عميقاً، اذ لا يمكنها اضاعة الوقت في تهنئة نفسها.

أمامها الكثير لنتفذه، ولا تعرف كم من الوقت سيتطلب منها ذلك ، كما لم تكن متأكدة متى سيستيقظ، قد يستيقظ بعد خمس دقائق أو خمس ساعات، عندما زارت الطبيب طلباً لهذه الاقراص، وهي تختلق أعمالاً كثيرة منعتها من النوم، وسببت لها إرهاقاً شديداً، حذرها من أنها قد تستيقظ مجدداً خلال الليل.وفي هذه الحالة ،يجدر بها ألا تتناول قرصاً آخر نظراً لقوة مفعول الحبوب،وعوارضها الجانبية الخطيرة.

تصنعت كلير الهلع وسألته: "وماذا لو نسيت ، وابتلعت قرصاً إضافياً، أيعد هذا خطيراً؟ "

فأجابها :

" في الواقع ،يمكنك مضاعفة الجرعة من دون أي نتائج سلبيه في المرة الاولى ، على ألا تمسي هذه عادة

.المشكلة ، أن الناس اعتادوا هذه الأقراص .وهم يستيقظون ليلاً، وينسون كم قرصاً تناولوا، فيتناولون واحداً إضافياً! لذا ،سيكون من الافضل لو أبعدت هذه الاقراص عن سريرك. وأعيديها الى خزانة الادوية ما إن تأخذي جرعة قبل النوم"

عبست كلير ، وهي تنظر الى وجه دنزل المستغرق في النوم .لم تكن تريد أن تسبب له أي أذى ، ولو كان يهدد سعادة أختها. ولما أضغت الى تنفسه المنتظم ، بدا لها طبيعياً، فقررت أن تباشر العمل. خلعت أولاً ذلك الرداء الأسود من الساتان ، الذي أعاقها كماه عن تقييد معصمه. ولم يكن من السهل عليها ، أن تتعامل مع جسده الهامد ،فأضطرت الى الركوع بجانبه قرب السرير.حاولت أن ترفعه بذراع واحدة ،ثم أسندته برجلها، الى أن نزعت رداءه.ووضعت القيود

في معصميه،ثم أقفلتها ،بعد أن ثبتت طرفها الآخر في حديد السرير ، وأخفتها بحرص وراء كومة من الوسائد...واستنتجت أن دنزل يحب العيش المريح، فالملاءات غالية الثمن، وتناسب طراز الغرفة الجديد.

وحين أنزلته ثانية ، لاحظت أن أزرار بيجامته قد فكت بطريقة ما، أثناء صراعها معه. وما بين ثنايا قميصه، لمحت كتفيه المسمرتين الناعمتين. شعرت بحلقها يجف ، وما كان منها الا أن اشاحت بنظرها بعيداً.فهي لا تريد أن تلاحظ هذه الناحية فيه. مدت يدها الى سترته بغضب ،ولكن دنزل تحرك في هذه اللحظة، وهو يصدر أنيناً وكأنه على وشك الاستيقاظ.

فوثبت كلير من مكانها، وابتعدت عن السرير وهي تعيره آذاناً صاغياً، وتراقبه بحذر .لكنه تحرك ببطء ،ثم

حاول الالتفات الى الجانب الاخر، لكنه عجز عن ذلك ، نظراً الى أن يديه مقيدتان فوق رأسه. واذا بتقطيبة تعلو جبينه، وتدفع كلير الى حبس أنفاسها، لكنه مالبث أن سكن ثانية. وعادت كلير الى السرير ، فخلعت عنه خفيه الجلديين ، من غير أن تستطيع منع نفسها من تأمل رجلية الكبيرتين والأنيقتين ، وأصابع قدميه الرشيقة.

وسرعان ما تأوهت ، وأنبت نفسها :

" ركزي على ما تفعلينه ، وكفي عن النظر اليه !"

أخرجت على عجل حبل غسيل من حقيبتها ، وبدأت بتقييد قدميه، فأصبح عاجزاً عن النهوض ، مما ناسبها تماماً.

ورأت هاتفاً الى جانب سريره فأبعدته عن القابس وعن متناول يده ، لكنها تركته في الغرفة ،لانه يشكل قسماً

أساسياً من خطتها، إذ ستطلب منه الاتصال بلوسي ما أن يستيقظ.

ثم أكملت عملها بتقييده بسلسلة قوية جداً.وبعد أن انتهت ،ألقت نظرة فاحصة على دنزل ،فوجدته ما يزال يغط في النوم .نزلت السلالم على مهلها ، وأعدت كوباً من القهوة ، ثم عادت تنتظر في الاعلى. وفي هذا الوقت ، نظرت الى خزانة الكتب، ووقعت على نسخة لقصص شرلوك هولمز.مع أنها حاولت القراءة، إلا انه كان من الصعب عليها أن تركز اهتمامها على سرد واطسون. وبقيت عيناها تنتقلان من الصفحة الى جسد الرجل نصف العاري الممدد على السرير.

كان كل نفس يستنشقه يرفع صدره العاري وينزله في حركة مستمرة .كانت الغرفة دافئة ،لكنها ادركت

فجاءة انه يشعر بالبرد،فحرارة الجسم تنخفض اثناء النوم.وهكذا ،تقدمت منه ،ورفعت اللحاف لتغطيه.

وفيما كانت تنحي فوقه ،أبصرت أهدابه ترفرف، فتسمرت في مكانها .وخيل اليها أنها رأت وميضاً بين رموشه يتألق لبرهة قبل أن تسكن أهدابه مجدداً.

لعله كان يحلم ...وراحت تراقب رموشه السوداء، الكثيفة فوق خديه المتوردين ،ثم تساءلت في سرها: " ترى بماذا يحلم؟ "

واستبد بها القلق خوفاً من أن تعلو حرارته.ولا مست يدها خديه بلطف، وارتاحت لما تغلغل فيها دفء بشرته من دون اثر لحمى.

كان من الافضل لها أن تعود الى كتابها، لكن الرغبة في استراق النظر إليه في غفلة عنه بدت أقوى منها، فجلست على حافة السرير، وامتدت أصابعها بتمهل

لتلامس كتفه العاريه.وسرعان ماسرت فيها قشعريرة بطيئة ، وكأن أشواكاً وخزتها. ورغم ذلك، حاولت أن تفكر بمنطق. لكنها لم تكن ترى الا جسمه الرفيع، وقد زادته يداه الممتدتان فوق رأسه طولاً. فتذكرت كيف طال طيفه في حلمها ليلة الميلاد ، ثم أغمضت عينيها ، وتنهدت بتأثير من الذكرى. وامتدت أطراف اصابعها حتى وصلت الى وجهه. بدت لها ذقنه وكأنها لم تحلق منذ مدة، وكأنها طيف أسود على بشرته. وجف حلقها ،قبللت شفتيها بعصبية، ثم ابتلعت ريقها، وقد علا الاحمرار وجنتيها ، وارتفع تنفسها بصوت مسموع.

كانت تتحرق شوقاً الى ضمه والتوت معدتها في شعور جعل أوصالها ترتعد خوفاً.فبقيت عيناها لاتفارقانه وهي تعرف انه لايشعر بارتجافها، ولن يدرك شيئاً عنه.

وفي هذه اللحظة ، تقلب وجهه على الوسادة.فحدقت في عنقه الطويله القوية، وقد استرخت عضلاته في أثناء رقاده،ثم تذكرت مجدداً ذلك الحلم الذي راودها ليلة الميلاد ،فشعرت بالعجز والوهن يستبدان بها. أما الان،فهو العاجز والواهن، وهو الواقع تحت رحمتها. مالت اليه بعنف، ودفنت وجهها في عنقه. لكنها مالبثت أن فكرت في غباء ما أقدمت عليه ،بل في جنونه. ماذا تفعل بحق السماء؟ ماذا لو استيقظ ورآها على هذه الحال؟ ماذا تراه سيظن حينها؟ وسرعان ماجلست مجدداً، فاذا بدبوس من اللؤلؤ ينفك من سترتها، ويخدش صدره العاري، راسماً قطرة دم صغيرة عليه.

أغلقت كلير الدبوس ، وهي تحدق في نقطة الدم على بشرته .ومع أنه خدش سطحي .إلا ان منظر الدم سحرها، فأغمضت عينيها، تسترجع حلمها الجميل. وبعد دقيقة ،فتحت عينيها، ثم رفعت اللحاف فوقه، وتوجهت الى كرسيها، وهي تجاهد لتركز على كتابها. وبعد حين ،غرقت في سبات عميق، لم تستطع مقاومته رغم القهوة المركزة .فمال رأسها على ذراع المقعد الجلدي، وسقط الكتاب أرضاً من غير أن يزعجها. أما ما ايقظها، فصوت الرجل على السرير. لا بل أنينه وحركته ومن ثم صيحة التعجب التي صدرت عنه. أفاقت كلير، وقد فقدت حس الزمان والمكان. ولثانيه، ظلت عاجزة عن تذكر مكانها، وما يجري من حولها. وما ان تذكرت ، حتى التفتت الى السرير.

كانت عينا دنزل مفتوحتين تماماً، فيما جسده يصارع للنهوض، فيشد على القيود، ويرفس قدميه المكبلتين بعجز:

" ما هذا بحق الجحيم؟ "

## ليلة العقاب

وعندما نهضت كلير من مكانها ، التفت دنزل اليها بحدة. فلاحظت المفاجأة في عينيه الرماديتين اللتين لم تتسعا الا لتضيقا مجدداً.

لوح اللون وجهها تحت وطأة نظراته، ثم تمتمت :

" أنا آسفة "

"هل انت من فعل هذا بي؟ "

وتلمست في صوته شكاً استطاعت أن تفهم سببه.

" بحق الجحيم، كيف....بماذا ضربتني؟ "

" لقد دسست حبوباً منومه في شرابك. "

حدق فيها بمزيج من الثبات والعبوس:

" ماذا؟ ان كنت تعتبرين ذلك مزاحاً، فأنا لا أجده مضحكاً البته "

وعاد يشد بقوة على معصمية الحبيسين، مضيفاً:

" فكي هذه الاشياء اللعينه عني! "

فدنت من السرير ، وهي مطمئنه الى انه لن يسمك بها، ثم شرعت تشرح له بصوت أجش وكلمات سريعه:

" أنا آسفه لأنني استخدمت هذه الطريقة ،لكن لم يكن بوسعي التفكير في طريقة أخرى .وكان علي أن

أوقفك عند حدك، فلن أدعك تدمر حياة أختي. في الغد ،سأبعد لوسي، وأدفعها الى اللحاق بخطيبها في أفريقيا. أما لو خضعت لتجربة الفيلم ، ونالت دوراً صغيراً في فيلمك المقبل، فستفسخ خطوبتها بمايك. وأعلم أنها سترتكب خطأً فظيعاً، فلوسي تحبه ، ولكنها لن تعود الى رشدها الا بعد فوات الاوان.لذا على ان امنعها من التقدم لتجربة الفيلم غداً. ولم استطع التفكير الا في طريقة واحدة ،وهي منعك من اصطحابها. وبما انني أعرف انك لن تستمع الي المنطق ان حاولت أن اقنعك ،لذا... "

ثم توقفت ، وقد منعتها أنفاسها المخنوقة من متابعة جملتها،فتمتم دنزل من خلال أسنانه المطبقة:

"يا إلهي ، انت مجنونة تماماً! "

وبدأ يناضل مجدداً ،وهو يجذب قيوده بعنف ، ويحاول أن يقطع الحبل الذي يكبل رجليه معاً.

فقالت كلير :

" أنت تضيع وقتك وطاقتك سدى "

عندها التفت اليها، وحملق فيها فيما التوت شفتاه كذئب هائج، وصرخ:

" اللعنة عليك، فكي عني هذه !"

فهزت رأسها بعناد:

" كلا، وان بقيت تصارع هذه القيود ،فلن تؤذي الا نفسك "

أخذ نفساً عميقاً وكأنه على وشك الانفجار وقال:

" افتحي القفل إذاً! "

وثارت أعصابه لما سمع الصرير المزعج في صوته. ورغم انه مقيد وعاجز بهذا الشكل، بدا قادراً على اثارة

الرعب فيها. لكن من الضروري الا يلاحظ أنه يخيفها ،لذا جاهدت لتحافظ على هدوء وجهها وجموده. أما هو ،فاستلقى مجدداً وهو يتنفس بخشونه، ويراقبها وقد بدا مطرقاً مفكراً وما لبث أن حاول مقاربة مختلفة .ابتسم لها ببطء، وقد تبدلت ملامح وجهه، واتسمت نبرة صوته بالنعومة والمنطق والسحر المتملق.

" حسناً لقد فزت يا كلير .لن أخضع لوسي لأي تجربة في الغد، أعدك بذلك. هل أنت راضية ؟ والان فكي هذه القيود. "

فهزت رأسها ،لترى ذلك المنطق اللطيف يتلاشى من وجهه، وبريقاً عنيفاً يستقر في عينيه.

" حين أتخلص من هذه ستتمنين لو أنك لم تولدي قط.

"

فابتلعت ريقها في الواقع، كانت تعرف انه ينطق بالحقيقه ، لكن عليها ألا تفكر في ذلك الان ، بل ستتركه الى وقت لاحق وهي لا تشك في ان القلق سيتملكها حينها.

ولما هدأ دنزل مجدداً، وراح يرمقها مقطب الجبين ،أعلنت ببساطة:

" أريدك ان تتحدث الى لوسي "

بدا وكانه مستعد لتصديق اي شيء الان وسألها :

" أهي هنا أيضاً؟ "

" بالطبع لا. "

وحانت منها التفاته الى ساعتها ، التي اشارت الى الحادية عشر والنصف .لابد ان لوسي عادت من السينما، وفي طريقها الى السرير والوقت الملائم للاتصال بها الان.

ووصلت الهاتف بالقابس من جديد ، قبل ان تواجهه والسماعه في يدها :

" أولا ،عليك أن تعدني بان تخبرها بما أقوله لك تماماً، من دون أي كلمة أضافية "

فتساءل وعلى وجهه تعبير قلق غامض:

" ولماذا أفعل هذا؟ "

" لأنك لن تتخلص من هذه القيود حتى تقوم بهذا الاتصال. "

ضحك ، لكن عينيه لم تعكسا أي مرح:

" لا يمكن ان تكوني جادة! "

" بل أعني كل كلمة اقولها.فإما أن توافق على اجراء هذا الاتصال ،واما أن اذهب وأتركك على هذه الحال طيلة الليل. "

فتبدل مزاجه ثانية،ثم زمجر بغضب شديد:

" قد تعتبرين الامر مزاحاً، لكنه ليس مضحكاً.ولن يجد القانون ذلك مضحكاً بدوره. أتدركين عقوبة جريمة كهذه ؟ستحاكمين بتهمة الاعتداء والاحتجاز القسري.وقد تسجنين

مدة طويلة جداً. وصدقيني لن تحبي حياة السجن كثيراً، فهي غير سارة أو مريحة ،لاسيما لفتاة مثلك " وسرعان ماسرت قشعريرة في بدنها،لكنها قررت ألا تتراجع. فقد فات اوان القلق عما يحدث لاحقاً، حين يتحرر .لذلك ،ستمضي قدماً في خطتها ، خاصة أنها أنجزت منها مايمنعها من الاستسلام. قالت ببرودة : " لا أظنك سترغب في إخبار الشرطة أن امرأة أقدمت على تقييدك الى السرير.وقد يسخر السؤولون منك " فومضت عيناه ، ثم رأت اسنانه تطبق وكأنه يريد ان يقطع رأسها .

ومالبث أن أضافت ، وهي تهز كتفيها استخفافاً:

" وحدث عن الدعايات التي ستنتشر ما إن يسمع الناس بالقصة، وسيقبل الصحفيون الى البلدة سعياً وراء القصة، وتتحدث الجرائد عنها بالصفحات ،يوماً بعد يوم. باستطاعتي أن أتصور العناوين منذ الان .وسيحب الناس القصة، لكن ماذا عنك أنت؟ يمكنني أن أتخيل الدعايات التي سيطلقونها .فكر في الامر.صحيح أنني قد أزج بالسجن .لكنك ستمسي محط سخرية الجميع "

رأته يستغرق في التفكير، وكأن وجهه ساحة معركة .بعد ذلك ،نظر اليها وكأنه يرغب في قتلها. فتريثت لثانية،ثم أضافت:

"سأرحل بعد دقائق ، ان لم تجر الاتصال .لذا ،اتخذ قرارك. "

جمد لبرهة وهو يرمقها ، ثم تمتم بجفاء:

" ماذا تريدين مني ان اقول لها؟ "

عندئذ، خالجها شعور مزعج بالارتياح.ما ان يتصل بأختها حنى تسير خطتها في في مسارها السليم.

" أريد أن تخبر لوسي أنك آسف لأن تجربة الفيلم قد ألغيت ، وعليك الرحيل ، وأنت غير متأكد من موعد رجوعك. "

فتشدق في كلامه ، وهو يرفع حاجبيه الاسودين بتساؤل:

" وماذا يمنعني من اجراء اتصال آخر ما أن تحرريني؟ "

" حينها ،ستكون لوسي في طريقها الى المطار. "

رأته يعاود التفكير في المسألة :

" لكنك قلت إتك ستفكين هذه القيود ، ما إن اتصل بأختك "

" سأفعل ، لكنني لن أتركك هنا وحدك، ولن تجري المزيد من الاتصالات. "

ولمحت وميضاً في عينيه وهو يسألها :

" أتنوين أن تلازميني الليل بطوله؟ "

لم تحبذ تلك النظرة التي رمقها بها، بل لم تعجب بذلك التعبير على وجهه .لكنها تظاهرت بعدم الفهم،وأجابت بسطحية:

" معظمة، نعم...حسناً ،أستجري الاتصال، ام لا؟ "

فنحها ابتسامه ساخرة وأجاب :

" حسناً "

شرعت تقول له:

" أخبرها فحسب..."

فقاطعها :

" اعرف ما تريدينني أن أخبرها "

" لاتضف أي كلمة او تنقص ، والا قطعت الخط قبل ان تحاول. "

ومع أنه لم يجب، لكن ملامح وجهه عكست الاجابة الشافية.

بعدئذ، طلبت كلير الرقم ، وانتظرت حتى ارتفع صوت لوسي وهو يقول بتردد: " آلو؟ "

فرفعت السماعة الى فم دنزل ، وهي على استعداد لخطفها أن لم يلتزم بما أرادته .لكنها سرت لما سمعت صوته عادياً، خشناً:

" لوسي؟ انا دنزل .اسف ان ازعجتك في هذه الساعه المتأخرة، لكن علي الرحيل لمدة واخشى أن تجربة الفيلم الغيت "

سمعت لوسي تغمغم ،وتخيلت شعور أختها في هذه اللحظة ، ثم انحنت لسماع كلماتها، فإذا بشعرها

الحريري الفاتح يلامس وجه دنزل، أحست بعدها بتيار كهربائي دفعها الى الابتعاد بسرعه،فيما عيناه الرماديتان لا تفارقانها. لكنه لن يعرف أن هذا الاحتكاك البسيط جعل قلبها يدق كمطرقة بين أضلعها ،ونبضها يتسارع حتى يفوق كل تصور... وبينما هي لا تزال تقرب السماعه من فمه ،تابع كلامه :

" لوسي ،لا أملك أدنى فكرة متى أتفرغ لرؤيتك ثانية "

وفي هذا الوقت ظل نظره عالقاً بوجه كلير ، والسخرية تملأ عينيه، وهو يضيف :

" في هذه الاوقات ، اشعر أنني مقيد ، وأنني لست سيد نفسي "

فاستشاطت كلير غضباً،وهي تسمع المعنى المبطن ، وترى فمه يلتوي بتسلية لم تشاركه أياها.

استرجعت السماعه بسرعة ،وأضغت الى لوسي وهي تقول بصوت بالك:

"دنزل...ولكن ماذا عن الفيلم ؟ألن تصوره ؟ظننت أنك متأكد من أنني أناسب هذا الدور. الا يمكنك أن تجري التجربة لاحقاً؟ أم أنك وجدت ممثلة أخرى؟ أهذا هو السبب ؟"

وسمع دنزل ذلك بدوره، فالتفت الى كلير .ولما لم تعجبها الطريقة التي رمقها بها،همست :

"قل لها وداعاً. "

بعدها قربت كلير السماعه منه من جديد فتمتم دنزل بلطف غامر:

" أخشى أنني مجبر على توديعك الان يا لوسي .انا آسف "

وبعد ان أعادت كلير السماعه الى مكانها ،استقامت متنهدة ، ثم نزعت الهاتف من قابسه مجدداً.

" علي ان أعود الى المنزل الآن، وأقنع لوسي بأن تلحق بمايك غداً. "

فتصلب قبل أن يهتف:

" لقد وعدتني أن تفكي هذه القيود ! ففكيها... هذا الاحساس بالعجز يقودني الى الجنون"

ابتسمت كلير ابتسامة باردة ساخرة وقالت :

" انا سعيدة لأنك أدركت ذلك اخيراً! "

" ماذا يفترض أن يعني ذلك؟ "

" الآن فقط ،تدرك شعور ضحاياك! "

" ضحاياي! لقد استعملت هذا التعبير قبلاً، وأنا لا أدرك الى الان عما تتحدثين بحق الجحيم. "

" آه لا، أنت بالطبع لاتدرك ذلك! "

فزمجر:

" وكفي عن هذه اللهجة الساخرة ! إن كان لديك ماتتهميني به، تفضلي .لكن دعي هذه التلميحات المبهمة "

" لقد تسببت بمرض هيلين..."

" هيلين تسببت بمرضها بنفسها! لقد تشاجرت مع زوجها ، وتطلقا.لكنها لاتزال مغرمه به ،وتعيسه لفراقه. وهذا ماسبب مرضها، وليس انا. "

" لعلها أحبت بول طيلة ذلك الوقت ،لكنها فقدت عقلها من أجلك...وأخبرتني نفسها كم شعرت بالعجز. تذكر أنني رأيتها معك ،ورأيت الحالة التي عانتها بسببك. "

فأسدل أهدابه ،واخذ يراقبها من خلال رموش سوداء، فيما عيناه تلمعان كما النجوم الفضية في سماء مظلمة.

" يبدو أنك تهتمين كثيراً بعلاقاتي مع النساء الاخريات. "

تورد وجهها ،ونظرت اليه بغضب قائلة:

" هيلين صديقتي، ولوسي أختي "

فتشدق في كلامه ، مما ضاعف غضبها:

" أهي غلطتي إن وجدتني كلاهما جذاباً؟ "

" لقد أخضعتهما لتأثيرك، وكأنك مصاص دماء عاشق! فتوقفتا عن التفكير بعقل .وبعد ان تغلبت هيلين على مشاعرها نحوك ، أخبرتني كيف شعرت....بالهوس، بل كانت عاجزة عن التفكير في

أي شيء آخر، وسعت بعجز الى فك الاغلال التي تربطها بك."

ثم نظرت اليه فجأة ،وقهقهت ، من الغضب الخالص البارد الذي استبد بها.

وما لبثت أن رمته أخيراً بتلك الكلمات :

" تماماً كعجزك أنت الان! "

راقبت ردة الفعل على وجهه ، وعرفت أنه لم يحبذ هذه الفكرة .بعدئذ، اضافت بصوت خافت تشوبه المرارة:

" تماماً كعجزي حين كنت في الطابق السفلي، وتراجعت الى الجدارن وقلت لي إني سجينتك "

ولم يأت حركة، بل نظر اليها وقد استحوذت على كامل انتباهه وتمتم بهدوء:

" كنت أمزح،وهي مجرد لعبة "

فجلست على حافة السرير وسألته:

" لعبة؟ حقاً؟ لقد لمستني ضد إرادتي ،اتذكر ذلك؟ هكذا..."

وبتمهل ، مررت إصبعها الطويل على جسده، وأحست بالتوتر يتسلل الى جسده كله.

" العجز هي الكلمة التي استخدمتها .لقد قلت إننا في حرب، وانني سجينة عاجزة .والآن ،انظر من هو السجين. كيف تشعر؟ "

بدا ذاهلاً، حين مررت إصبعها برفق على وجهه :

" مالامر؟ يبدو وكأنك تعتقد أنك كنت تمزح فعلاً في الاسفل.لكني لاحظت أنك استمتعت فعلاً بتلك اللعبة التي لعبتها معي. "

واستمرت تتلمس تفاصيل وجهه ، من خديه ، الى أنفه، فعينيه وحاجبيه.

" كنت اللعبة التي تسليت بها، أليس كذلك؟ لقد تجاهلت كل احتجاجاتي ، واستغليتني بإحدى ألاعيبك الصبيانيه، ولكن ، يمكن لشخص اخر ان يشترك في اللعبة. "

واستمتعت بإنكاره،وهو لايصدق ماذا يحدث له! ثم مالت نحوه،فغمر وجهه شعرها الاشقر، قبل ان تهمس في أذنه:

" الآن حان دورك لتكون لعبتي! "

وشعرت أنه يحاول نزع القيود ، فضحكت ثم نظرت الى وجهه الغاضب، وعينيه اللامعتين.

وتجلى في صوته غضب مرير:

" إن كان من امرأة لا أتحملها، فهي المعذبة الباردة الاعصاب "

فشحب وجه كلير ، وقد كرهت النبرة التي استخدمتها ، لكنها جاهدت لتحافظ على خلو التعابير عن محياها .وقررت ألا تسعده بكشف الجرح اللذي سببه لها.

وتمتم باختصار، وعيناه لاتفارقانها:

" أما من تعليق؟ "

وبادلته النظرات من دون أي تعبير .ورغم أنها شعرت أن الكلام بعيد عن السهولة باشواط، الا انها، وبطريقة ما ، تمكنت من القول: " لا "

فقست شفتاه ،وهو يومئ برأسه، ويضيف :

" كما سبق وذكرت، أنت باردة كالجليد ، وتفتقرين الى الانفعال. لقد عانقتني لتثيري غرائزي. تلك كانت نيتك ، أليس كذلك؟ "

عندئذ ، أجابته كلير على نحو فظ:

" لا نملك الوقت لهذا "

فرد من بين أسنانه المطبقة :

" أنت لا تملكين الوقت، أما أنا ، فيبدو أن ، لدي وقت العالم كله .فلن أذهبالى اي مكان "

" أسمع على لوسي أن تستقل قطاراً الى مانشستر في السادسة من صباح الغد.كما عليها أن توضب أغراضها قبل ذلك. وما زال علي أن أكلمها، لأنها لا تعلم شيئاً عن هذه الرحلة. "

" ألن تحتاج الى تأشيرة دخول؟ "

حاولت كلير ألا تنظر اليه . فكلما وقعت عيناها عليه ، سرت فيها ذبذبات غريبة.

ومالبثت أن قالت بسطحية:

" لقد حصلت واحدة قبل اشهر عدة، وذلك حين سافر مايك الى هناك، كي تزوره ،في حال وفرت بعض المال. "

" وماذا عنه ؟متى ستخبرينه بقدومها؟ "

" لقد سبق وفعلت. "

فأجاب بسخرية باردة:

" أنت تدهشينني. وفيك من السريه ما يفاجئني ، إذ لم تطلعي مخلوقاً على ماتخططين له "

عندها رفعت ذقنها ، متوردة الوجه وقالت له:

" لم أخبره عنك، أو عن تجربة الفيلم. بل اكتفيت بالقول إنها مفاجئة من لوسي، وحذرته من أن يذكر الموضوع سلفاً.انما علي أن اعلمه بموعد قدومها. كي يلاقيها في المطار،ويحجز لها غرفة في فندق قريب "

فعلق بجفاء، وهو يدرسها ، كمن يراقب حشرة تحت عدسة المجهر:

" لقد فكرت في كل شيء، أليس كذلك؟ "

" بل حاولت ذلك. "

وحانت منها التفاتة الى ساعتها ،وقد فرغ صبرها :

" والآن ،هل ستدعني أوثقك بالحزام، أم لا؟ لانك ،

إن لم تفعل ، ستبقى مقيد اليدين طيلة الليل "

" حسناً،ضعي الحزام اللعين ، بأي وسيلة كانت "

ثم رفع جسده ،تاركاً إياحا تدس الحزام حول وركيه.

وأعلنت ، من دون أن تنظر اليه:

" قبل أن أنزع الأغلال ، عليك أن تعدني أنك لن تحاول منعي من الرحيل. فعلي أن أرى لوسي الليلة، وأتأكد من أنها ستستقل تلك الطائرة "

فتشدق في كلامه:

" سأعدك مقابل وعد منك ، عديني أنك ستعودين ما إن تسافر لوسي بالقطار غداً صباحاً "

أومأت برأسها وقالت:

" حسناً،أعدك بأن أعود حالما نودع لوسي في المحطة "

ورد :

" اتقفنا "

لم تكن متأكدة من أن بإمكانها الوثوق به، الا أنها أخذت نفساً عميقاً ، وفكت الاغلال .

ولما سقط ذراعاه، أجفل ، قبل أن يئن ألماً.ومالبث أن راح يفرك ذراعيه.

" يا إلهي ، أعاني أكثر التشنجات سوؤا "

لكن كلير لم تنتظر .فرغم وعده ، قررت ألا تجازف ، وما أن نزعت القيود، حتى نهضت وحملت الهاتف معها، ثم اتجهت الى الباب سريعاً. ومع أنها سمعته جيداً وهو يستقيم ،ويتقلب على السرير، الا انها أيقنت أنها بعيدة عن متناول ذراعيه، فما زال عليه نزع حبل الغسيل عن رجليه المكبلتين. ولا تعد هذه بالمهمة السهلة ، لاسيما أنها تكبدت عناءاً كبيراً ، كي يصعب

علي أي كان فك الحبل. وأخيراً قالت من فوق كتفها:

" سأعود في الصباح، فأخلد الى النوم "

وتجاهلت العبارة النابية التي تفوه بها دتزل.

وما أن وصلت الى المنزل ، حتى توجهت الى غرفتها، واستلقت على السرير، من غير أن تبادر إلى تغير ملابسها. راحت تصغي الى الانين المكتوم الذي وصلها من غرفة لوسي ، وبعد دقيقة ، توجهت الى هناك، أدارات زر الكهرباء.

جلست على السرير بجانبها، وتناولت منديلاً من على الطاولة المجاورة ، وراحت تمسح دموع أختها برفق.

" ما بالك؟ سمعتك تبكين. "

فارتعشت شفتاها، ثم انفجرت غاضبة بنبرة لم تعهدها كلير من قبل:

" هل كنت تسترقين السمع مجدداً؟ ألا يمكنني البكاء بسلام في هذا المنزل؟ "

وما لبثت أن بدأت تشكو:

" آه يا كلير...لقد ألغيت تجربة الفيلم، وسيرحل ثانية، ولن أمثل في أي فلم بعد ذلك "

فتمتمت كلير بصدق: " لا يفاجئني ذلك "

ثم تناولت فرشاة من على الطاوله ،وبدأت تسرح شعر أختها الأشعث.

" أظن أن تجربة الفيلم حيلة يمارسها على كل النساء اللواتي يطاردهن. "

ولما كانت لوسي تحب أن يسرح لها شعرها ، فقد خفف عنها ذلك ، وسرعان ماتنهدت :

" كنت محقة بشأنه "

" نعم. "

عندئذ أخرجت بطاقة السفر منجيبها، وأضافت :

" حسناً، يمكنك استعمال هذه إذا أردتِ "

فنظرت اليها لوسي بتعجب وكأنها تتطلع الى أرنب أخرجته كلير من قبعه.

" ما هذا؟ "

" افتحيها وسترين. "

أخذتها لوسي بريب، ثم فتحتها وهي تحاول أن تقرأها :

" رحلة إلى أفريقيا! ولكنني لا أفهم، فالرحلة عند صباح الغد، غير أن ..."

" إن لم ترغبي في السفر غداً يمكنك تغيير الموعد ، شرط أن تخبريهم بالأمر سلفاً.ولكنني اتصلت بمايك وأعلمته بمجيئك. "

ففغرت لوسي فاها، وهي لا تصدق، ثم انهمرت أسئلتها:

" اتصلت بمايك؟ أخبرته ؟متى؟ ومتى اشتريت البطاقه؟ بل ما كل هذا؟ "

حافظت كلير على هدوئها ، وهزت كتفيها بلا مبالاة ثم ابتسمت لها، وقالت :

" وما همك ؟ عليك اتخاذ قرارك قبل فوات الاوان .فقد حجزت لك في القطار غداً باكراً. كما حجز لك مايك بدوره غرفة في فندق قرب المدرسة. وقد تم تدبير كل شيء .ولم يبقى إلا تحضير أغراضك وركوب هذا القطار"

حدقت لوسي فيها بثبات وهي تعبس ثم سألتها :

" ومتى فعلت كل هذا؟ "

" منذ يومين تقريباً. "

" ولكن ...لماذا ؟ولم لم تخبريني؟ ماذا يجري هنا؟ "

" لقد قلت لك إني لم آصدق حكاية تجربة الفيلم قط.

وكنت متأكدة من أنها مجرد حيلة. "

فعضت لوسي على شفتيها وقالت :

" لا بد أنك تعتبريني غبية "

لكن كلير ابتسمت لها ابتسامة ملؤها المحبة، وأجابت :

" كلا، بل صادفت مصاص دماء عاشق، وحسب.وقد سجل هذا الرجل تاريخاً في افتراس النساء التعيسات.فهو يظهر بداية تعاطفاً ودعماً ودودين، الى أنه ينتهي في فراشهن.وما إن ينال مراده ، حتى يطيري الى مكان آخر "

فقهقهت لوسي بعصبية، قبل أن تسألها كلير:

" أليس هذا ما حدث معك؟كنت تعيسه بسبب مايك، الى ان اقتحم حياتك بتفهمه، ولطفه،حتى لم

يعد بوسعك الا تحبينه. ومن ثم ، حاول جذبك الى فراشه. "

فعلا الاحمرار وجه لوسي:

" لم أخبرك بذلك قط! "

لكن كلير ردت بكآبة :

" لم يكن من الصعب علي أن أتكهن .إذ يمكن للمرء أن يتنبأ بتصرفاته. وهكذا ، كنت متأكدة من أنه لا ينوي ضمك الى فريق الفيلم .وقلقت عليك ، بل خشيت أن تكون المسألة بمثابة القشة الأخيرة ، بعد مشاكلك مع مايك، لذا ،بدأت أعد هذه التدابير فإن خضعت لتجربة الفيلم فعلاً، أوجل موعد الرحلة الى حين، لذا، لم تكن المجازفة كبيرة. كما أنك تحتاجين الى عطلة يالوسي، فقد أرهقت نفسك في العمل. ومن هنا، اعتقدت أنك بحاجة لرؤية مايك، ومناقشة بعض

المساءل معه، وهي مسائل لا يمكنك مناقشتها عبر الهاتف، او عن طريق الرسائل، بل عليك رؤيته ، وجهاً لوجه "

وما كان من لوسي الا أن عضت على شفتها ، وهي عاجزة عن التوصل الى قرار ، ثم قالت وقد تشعث شعرها الاشقر، وازدادت ارتباكاُ.

" لا أدري ماذا أقول. "

" قولي إنك ستذهبين وحسب! "

وما لبثت لوسي أن عانقتها وهي تكاد تنتحب:

" أنت رائعة ! وأنا شاكرة لك جداً يا كلير... ولن أنسى ذلك أبداً..."

" لا أرغب الا في رؤيتك سعيدة يا لوسي. وأظن أنك ومايك مناسبين لبعضكما ، فهو سيسعدك كثيراً .ولم أرد أن تخسريه من أجل ثمن البطاقة فقط. وبما أن

الارباح كانت وافرة هذه السنه، فيمكنني أن أرسلك . والآن ،أتفضلين تحضير حاجياتك ، أم ترك هذا الى الصباح، ومحاولة الخلود الى النوم؟ "

فهتفت لوسي :

" بل سأحضرها الآن.وباستطاعتي ان انام في القطار غداً "

وقفزت عن السرير ، وقد امتلأت حيوية وإثارة ، ولم يستغرق منها توضيب أغراضها إلا نصف ساعة، لا سيما بوجود كلير ، التي سرعان ما أجبرتها على نيل قسط من النوم.

ووعدتها وهي تطفئ النور :

" سأوقظك في الوقت المناسب صباح الغد "

ثم توجهت الى غرفتها، واستلقت على السرير بدون ان تبدل ملابسها، وهي تحدق في الظلام .في الواقع ،

لم تحس بوخز الضمير لأنها أخفت الحقيقة عن لوسي. فلو أنها لم تكذب عليها ، لرفضت لوسي أن تركب هذه الطائرة ، ولخسرت الرجل الذي آمنت كلير أنه المناسب لأختها.

وهي مقتنعه أيضاُ أن لوسي لن تفوت عليها مستقبلاً مهماً في التمثيل، ولم تخضع لتجربة الفيلم هذه. صحيح أنها جميلة جداً، وتملك وجهاً مناسباً للتصوير، ولطالما أقرت كلير أنها تبدو مذهلة في الصور، لكنها لم تظهر أي موهبة في التمثيل. وقد سبق لها أن مثلت في مسرحيات المدرسة، لكنها لا تتميز بسحر على المسرح، أو على الاقل ، هذا ما لاحظته كلير.أما عن دنزل ،فلم يتظاهر مرة بأنه يؤمن بصفات النجمة فيها ، بل لم يعرض عليها هذه التجربة إلا إظهاراً لطيبته. ومع ذلك، كانت كلير متأكدة من أنها لم تخطء بشأن

دوافعه قط، فلقد استخدم عمله كطعم ليغوي لوسي.

ولا شك أن هذه الخطة المحكمة قد نجحت مع عشرات النساء قبلها.لكن ، من الواضح انها فشلت مع لوسي.

كان نظرها مازال موجهاً الى السقف، فعبست وهي شاحبة الوجه، باردة. لايجدر بها أن تفكر فيه. لكن فيما تفكر غيره، ولا شاغل آخر يصرف صورته عن ذهنها ؟ وسرعان مابدأت الصور المزعجة تحتشد في مخيلتها. فلم تستطع أن تصدق الذكرى التي تجتاحها .أحقاً تصرفت هكذا ؟ ما الذي أصابها بحق السماء؟

لكن صدقها، وطبيعتها الصريحة ، أبيا أن يكذبا .في هذا الظلام الموحش، لم تعد تقوى على إخفاء الحقيقة ،أو أنكار مشاعرها نحوه.فأغمضت عينيها ، وتأوهت الذكرى تمزق أحشاءها، وكأنها ابتلعت زجاجاً

مكسوراً. كانت مغرمة به ، الى حد اليأس. لكن، أيعقل أن تكون بمثل هذا الغباء؟ نعتها هذه الليلة بالجنون، وكان محقاً .فمجرد الوقوع في حب رجل مثله، ضرب من الجنون. ولماذا تطلب الامر منها هذا الوقت كله كي تدرك ماذا يحدث لها؟ وكيف يخذلها العقل الذي لطالما تميزت به، هذه المرة؟ لا شك أن العداء الذي ساد بينهما يوم التقيا أعماها ، ولم تدرك أنه كان مجرد غشاء يخفي خلفه خطراً حقيقياً .وفي الليلة الاولى، شغلها القلق على هيلين ، فلم تدرك انه مصاص دماء سيقدم على أذية هيلين ليرحل بعد ذلك من دون تردد.

وهاهي الآن تتساءل ، ان كانت تجازف هي الاخرى بالاقتراب منه.

لكنها لطالما كانت باردة ، لا بل امرأة أعمال مميزة واقعية ومتزنة، وقد أقنعت نفسها أنها لن تسمح لأي رجل بأن يؤذيها مجدداً، وأن هال ، الذي كسر قلبها ،قد علمها الحذر من الوقوع في غرام الرجل غير المناسب. وحين استرجعت بعض المشاهد الخاطفة، تساءلت إن كانت لم تدرك منذ النظرة الاولى أن دنزل بلاك سيهدد سلامها الداخلي. ترى، ألم تعرف منذ البداية أن تأثيره سيكون عنيفاً كالزلزال؟ وإلا ، لماذا كان الخوف الشديد يستبد بها كلما قابلته؟ ولماذا راودتها عنه كل هذه الاحلام المزعجة؟

لقد نجحت في إنقاذ أختها من مخالبه، لكن، من سينقذها هي؟

# 7- المواجهة الصعبة

وفي صباح اليوم التالي ، وخلف ستار ذهبي خفيف، قادت كلير السيارة الى كوخها ،وهي في حال من الانفعال الشديد.

فكرت في أن الربيع قد حل أخيراً! ويبدو أن هذا اليوم سيكون صافياً، من دون غيمة في السماء.والى جانب الباب الامامي ، تفتحت براعم الزنبق الأزرق ، لتكشف عن وريقات ملتفة، وعبير ذكي يدغدغ الانفاس.

توقفت كلير لتتنشق الاريج ، وهي تدرك أنها لا تقوم الا بتأجيل موعد دخولها الكوخ، وصعودها السلالم.

كانت قد ودعت لوسي عند محطة القطار، ثم قادت السيارة الى الكوخ بتمهل، وهي شاحبة الوجه، خائفة. وأدركت أنه لم يكن بوسعها أن تبقيه مقيداً. لكنها ، في الوقت نفسه امتلأت رعباً وهي تفكر في مايقدم عليه حين يتحرر .

عضت شفتها ،وقد استحال وجهها قرمزياً، وهي تذكر الليله الماضية وما لبثت أن تأوهت بصوت عال: " لماذا أقدمت على ذلك؟ ما الذي أصابني بحق السماء؟ "

ولكن ، عليها أن تتقبل الحقيقة إنها مسلوبة الارادة .فمنذ أن وقعت عيناها على دنزل للمرة الأولى، وهي مسلوبة الارادة، وكانها خاضعة، مهووسة، وقد سيطرت على عقلها صور غريبة ، وباتت أحلامها حسية. ولو انها عاشت في العصور الوسطى ،لا عتبروا

ان الشيطان قد تلبسها. وفي الواقع، ما من صفة تناسب دنزل أكثر من هذه.

أغمضت عينيها، وقد أسندت وجهها الى الحائط الحجري .إنني أفقد رشدي ، فأنا أكلم نفسي ، وأعاني الهلوسات ، بل تراودني أغرب الاحلام...فما بالي؟ مما أشكو، عدا عن وقوعي في حب آخر رجل في العالم قد تفكر فيه أي امرأة عاقلة؟

صرخت وهي تحدث نفسها مجدداً: " أصمتي! " فما الفائدة من الجدال ، انما عليها الدخول الى الكوخ ، ومواجهة مصيرها.

ومالبثت أن أدارت المفتاح في القفل ، وفتحت الباب .وقفت في الرواق الضيق تطرق السمع.

ما من صوت. أغلقت الباب بهدوء، وبدأت تصعد السلالم على رؤوس أصابعها ،وتتوقف بين الحين

والاخر لتصغي مجدداً. وحين بلغت أعلى الدرج، سمعته يتنفس .لبثت مكانها ، ونبضها يخفق في حنجرتها، ثم سجلت وجود صوت هادىء منتظم، فاطمأنت الى أنه نائم.

بمقدورها إذاً أن تتسلل الى الداخل ، فتلقي اليه بالمفتاح من غير أن توقظه ،ثم تفر خارجاً. وخالجها شعور مزعج بالارتياح ،فدفعت باب غرفة النوم بحذر، وبعد ثانية ،فق قلبها بسرعة ، وقد وقع نظرها عليه. كان مستلقياً على ظهره ، وعيناه مغمضتان، فيما أهدابه السوداء منسدلة على وجنتيه الشاحبتن .أما صدره فمكشوف كحال كتفيه، لا سيما أن الغطاء لايغطي سوى القسم السفلي من جسده.وأضفت الستائر المسدلة على الغرفة ظلالاً غامضة.لكن ماذا

لو لم يكن نائماً حقاً؟ ماذا لو كان يتظاهر بذلك ، كي يوقعها في الشرك؟

وأمعنت النظر فيه .لا.. لو أنه يمثل فعلاً، لما فغر فاه على هذا النحو.

وشرعت كلير تتقدم نحوه بحذر ، وهي تنوي أن تضع المفتاح فوق المنضدة قرب السرير، لتتسلل الى الخارج مجدداً.لكن ما إن بلغت منتصف الطريق، حتى تقلب في مكانه بقلق .فما كان منها الا ان جمدت في مكانها. وراحت تراقبه وهي مستعدة للهجوم إن استقام على السرير.

لكنه رف جفنيه، وتنفس بسرعة، ثم راح يئن ، وهو يلوي رأسه من جانب الى آخر. إلا أن كلير لم تسمع دمدماته، وبدت كلماته غامضه وصوته أجش.

وبعدئذ، صرخ بطريقة، زرعت فيها رعباً عظيماً. لم

يسبق لها أن سمعت هذا الخوف ، بل هذا الالم في صوت رجل من قبل.وبلغ بها القلق حد الهروع الى سرير ، والجلوس بقربه، لتهزه بعنف، قائلة :

" استيقظ يا دنزل! "

فتغيرت حركة تنفسه ، وصرخ كما المصاب بصدمة ، ثم فتح عينيه، ونظر إليها بغرابه ، وهو متصلب الجسم ولدقيقة، أيقنت أنه لا يدرك من هي، الى أن تلعثم:

" ما ...ما الأمر...؟ كلير؟ "

فردت بارتعاش:

" كنت تحلم... لقد انتابك كابوسٌ "

شحب وجهه حتى استحال ناصع البياض، وبدت عيناه شديدتي السواد:

" وكيف علمت؟ ماذا قلت؟ "

ولما رأت ارتباكه ، نظرت اليه غير مصدقة ، فهذا لا يناسب الرجل الذي تعرفه . غير انها سارعت تطمئنه بدافع غريزي:

" لم تكن تتكلم بل تصرخ. "

ومهما كان الحلم الذي راوده ، يمكن لكلير أن تجزم أنه يبدو وكأنه رأى الجحيم بعينه. ومع ذلك ،بدا كل همه ألا يعرف أحداً سبب تلك الكوابيس التي غزت مخيلته.

وتنهد بتثاقل، ثم وضع ذراعه على وجهه، في حركة مستها في الصميم ، بدا لها أشبه بطفل يحاول أن يختبئ ، وقبل أن تدرك ما تتقوم به، أزاحت خصلاته شعره الاسود عن جبينه، ثم تمتمت بنعومه :

"أنت بخير الآن .لقد انتهى الكابوس وحل الصباح "

وبصوت لم تسمعه قبلاً، رد بانزعاج:

" بل لن ينتهي أبداً. فتلك هي حال هذه المسائل. تعود الينا في الاحلام مراراً وتكراراُ، كين نكون نياماً، وقد رمينا بأسلحتنا جانباً "

ترددت كلير ، ثم قالت بصوت يخالطه الشك والاجفال:

" يبدو الامر خطيراً. هل تريد التحدث عنه؟ "

فضحك بصوت خشن وقال:

" وماذا تتوقعين ؟ سراً رهيباً ومخيفاً؟ كلا يا كلير، ما من سر غريب أو خاص في كوابيسي. مجرد ذكريات من الطفولة، كان يجب ان أدفنها منذ مدة طويلة "

وغمرها الارتياح لبرهة، لكنها مالبثت أن تذكرت الأصوات التي أصدرها، فعبست وقد أيقنت أن هذا الرعب حقيقي ولا يحتمل. سألته، وهي تدرك أنها تجتاز

طريقاً وعراً، وأن عليها أن تخطو كل خطوة بحذر شديد:

" هل كانت طفولتك تعيسة؟ "

كانت تعرفه بما فيه الكفايه ، لتجزم أنه ليس من الرجال الذين يفصحون عن مشاعرهم الخاصة، وهو يماثلها في ذلك سرية . ومن هنا، لسعتها المفأجأة، حين اكتشفت للمرة الاولى في حياتها، أنها يتشابهان بطريقة ما.

وبعد صمت طويل، تذكر دنزل بخشونه:

" لقد تخللتها بعض للحظات التعيسه. "

فتنفست بعمق، وقد أجفلها ما شعرت به من سعادة ، حين أجابها ، ولو بهذا القدر من الكلمات .وسرعان ما أحست كمن أقنع طيراً برياً بالتقاط بالبذور من يده.

ثم سألته بحذر، إنما بنبرة حاولت مابوسعها لتبدو عادية:

" ألم تتفق مع والديك؟ "

فقهقه بغضب، ثم أخفض ذراعيه ، ونظر اليها بعينين رماديتين حادتين :

"والدي؟ حين بلغت الثانية من عمري، هربت أمي مع رجل آخر. اما والدي، فلم يعرف ماذا يفعل بي.لذا ، رماني لأخته، ثم اختفى بدوره. وكان لأخته أربع صبيان ، بلغوا سن المراهقة. ولو قلت إنهم لم يرغبوا في وجودي ، للطفت الحقيقة. فقد كان شغلهم الشاغل أن يحيلوا حياتي جحيماً، لا سيما أن مخيلتهم كانت واسعة. "

فأجفلت وسألته:

" أتعني أنهم عذبوك؟ "

" فكروا في مئات الوسائل ، ليدفعوا صبياً صغيراً الى حد تمني الموت. "

واجتاح الرعب قلب كلير، وقد حدقت فيه بعينين قاتمتين:

" لكن... لمَ لم تخبر أحداً... كعمتك ،أي أمهم؟ لمَ لم تخبرها؟ "

فزادت السخرية ملامح وجهه حدة:

" كانوا أذكياء. فلم يتركوا آثاراً على جسدي ، بل في عقلي وحسب. ولم ترغب عمتي فلورا في رؤية ما لا تريدرؤيته. فهي لم تكن تريدني بدورها طبعاً، لاسيما أنها أرملة، ولا تملك الكثيرمن المال. ولم تستقبلني إلا لأنه واجبها، كما اخبرتني مرات عديده. إنها امرأة متدينة، تؤمن بالواجبات ولا تكشف عن عواطفها الانسانيه، الا في ما يتعلق باولادها ، ولقد أشرفت

على غذائي ، وملبسي ، كما واظبت على اصطحابي الى الكنيسه مرة في الاسبوع. ولم تكن قاسية القلب، بل مجرد امرأة غير مبالية. كما أن الوضع لم يكن بهذا السوء عند وجود الصبيان في المدرسة، لكن أيام العطل ونهاية الاسبوع كانت مرعبة في نظري. وقد كرهت الميلاد خاصة ، يضطر الجميع الى قضاء الوقت في المنزل بسبب حالة الطقس، مما يدفعهم الى البحث عن وسيلة للتسلية، أي أنا. فيمارسون مداعباتهم السمجة، كما يسمونها، الى ما لا نهاية. وحين يطلق الناس هذا المزاح عبارة مداعبات سمجة، فهم يقصدون مداعبات قاسية كما تعلمين. فهذا المزاح ينطوي دائماً على القسوة ، التي لا تعجب الضحية أبداً. وهنا ، تمتمت كلير بهدوء:

" أعرف ماذا تعني. فأنا أكره المداعبات السمجه، حين أكون هدفها. قل لي، اينوع من المزاح كان؟ "

فكشر وقال:

" آه ،كانت خدعاً تهدف الى الاغاظة في معظم الاحيان. لكن حين يكون المرء في الرابعه من عمره ، فإنه يراها العذاب بعينه. وحين بلغت ميلادي الخامس، غمروا سريري بإبر أشجار الصنوبر، وأجبروني على الاستلقاء فيه، صحيح أنني لم أحتضر ، لكنها خدشتني كالقراص. وفي بعض الاحيان، كانوا يدفعونني الى خزانة تحت السلالم، ويحبسونني فيها. لطالما أرعبني الظلام الدامس الذي يغمر المكان. ومنذ ذلك الحين ، وأنا أعاني رهاب الاحتجاز. وقد اعتادوا إخفاء هداياي ، او رميها حتى تتكسر، ثم يتركونني لأتلقى اللوم. وبما أن عمتي تؤمن بالعقاب الصارم،

فقد اعتادت ضربي جزاءً على ما يقترفه أولادها.

وأذكر لعبة كانوا يحبونها كثيراً، وتدعى الكعكة المحمصة ، ووفيها يمسكونني فوق النار، ويتظاهرون بتحميصي. ومع أنهم لم يوقعوني مرة . لكني لم أكن متأكداً من نيتهم . في الواقع، كانت هذه القسوة العقلية نموذجية، أي أنني لم أكن أهتم لما يفعلونه بي، بقدر ما يقلقني ماقد يفعلونه لاحقاً. وكانوا يقدمون على لوي ذراعي، ونتف شعري كلما رأوني ، وكأنهم يرفسون أي كلب "

في تلك الاثناء كانت كلير تحاول مقاومة دموعها ، وقد شحب وجهها . وتملكها مزيج من الغضب والألم وهي تتخيل صبياً صغيراً يتيم الأم ،يحاول أن يتحمل كل هذه الصعوبات.

ومالبثت أن سألته بصوت أجش:

" وكم من الوقت مضى قبل أن تتغلب على كل هذا؟

"

فكشر وأجابها:

" خيل الي أن الوقت أبدي، لكنها كانت خمس سنوات أو ست تقريباً، على ما أعتقد. وحين بلغت الثامنه، كانوا قد تخرجوا من مدارسهم ، وبدؤوا يعملون او يرتادون الجامعه، وقد ملوا من التسلي بتعذيبي".

ففكرت بصوت عال:

" الأن فهمت لمَ تكره الميلاد "

عندئذ رماها بنظرة جانبيه سريعة وسألها :

" هل أخبرتك بذلك؟ "

ولما أومأت برأسها ، ابتسم وهو يلوي فمه :

" نعم ، في الواقع، كان عيد الميلاد أسوأ يوم في السنه، وكم كرهت التعارض بين كلام أمهم عن ضرورة انتشار المحبة بين الناس، وبين ما يقترفه أبنارها بحقي، بعلم منها أو من دون علم. "

فقاطعته وهي جزعة:

" وكيف أمكنها أن تفعل هذا ؟"

" أظنها لم تكن ترغب في الاطلاع على الامر . ألا تفضل الأمهات أن يؤمن بكمال أولادهن، لاسيما في فترة الميلاد؟ تعلمت أن أكره الموسم بأكمله، من الخدمات في الكنيسة ، الى ترانيم الميلاد، فبطاقات العيد بكلماتها المحبة، هذا الى نباتات البهشية والاشرطة اللماعة. وبدا لي أن في العالم أجمع عائلات تجمع شمل أفرادها ، وكانت برامج التلفزيون تحفل بافلام قديمة العهد، فيما الترانيم لا تنقطع مطلقاً من

المذياع... ولم يكن باستطاعة المرء أن يهرب من هذا الجو أينما ذهب. أما أنا ، فقد اعتبرت كل ذلك مجرد حلة زائفة. "

" أتفهم لما فكرت بهذه الطريقة. "

ولم تشأ أن تجادله ، فليس الأوان أو المكان مناسبين لتحاول أن تغير نظرته الى الميلاد. وبدلاً من ذلك ، قالت بنعومه:

" لا عجب أن الكوابيس تنتابك. يبدو أن ما حدث في طفولتك قد ترك فيك أثراً لم يتركه أي حدث آخر في حياتك، أليس كذلك؟ "

فتذمر ،والسخرية في عينيه، ثم قال:

"هذا مايبدوا .ياللتفاهة! ألا توافقيني الرأي؟ ها قد مرت عشرون سنه تقريباً على مون عمتي ، ولم يقع

نظري مرة أخرى على أي من أبنائها. كان علي أن أنسى مافعلوه بي، ولكن ..."

وهز كتفيه استهجاناُ، قبل أن يضيف بسطحية :

" من الغرابة أنها ماتت فجأة في عيد الميلاد، إثر نوبة قلبيه .وبما أن أحداً لم يلاحظ قبلاً أنها تعاني من القلب ، فقد كانت الصدمة عنيفة. "

ومالبث أن صمت عن الكلام ، وهو شاحب الوجه بعدئذ، هتف بصوت خشن :.

" لا .ليست هذه الحقيقة الكاملة. لم يحدث أن أخبرت أحداً بهذا، ولكن ماجرى بسببي. فأنا من تسبب لها بتلك النوبة القلبية. "

ففي يوم الميلاد ذاك ، كان ابنا عمتي قادمين مع افراد عائلاتهم، لا سيما بعد أن تزوج اثنان منهم، وانجبا الأطفال.أما الاثنان الباقيان ، فقد استعدا للمجيء

مع صديقتيهما. وكادت عمتي تطير من الفرح. وظلت طيلة الوقت تمدح الميلاد على أنه يوم رائع تجتمع فيه العائلة . ثم راحت تثني على أبنائها المحبين. وفجأة فقدت أعصابي ، وأخبرتها أي نوع من الوحوش القساة هم أبناؤها، وكم اكرههم..."

ثم صمت وهو يتنفس بارهاق، ولا حظت كلير كم ترتعش يداه. فأمسكتهما معاً، وقد أخافتها النظرة على وجهه .

وحدق في أيديهما المتشابكة ، قبل ان يرميها بنظرة مستغربة:

"هل تبدين نحوي لطفاً وتعاطفاً يا كلير؟ "

فتوردت وجنتاها لما سمعته من تهكم جاف ، وحاولت أن تسحب يديها ، لو لم يشد قبضته.

" أنا لا أحاول أن أهاجمك. لكنني غالباً ماشاركت في هذا المشهد، عادة أكون المستمع الجيد، فأصغي الى الناس، وهم يفصحون عن مشاكلهم . أما هذه الطريقة، فلا. وغالباً ما يكون جزءً من عمل المخرج، لاسيما حين يعمل مع ممثلين انفعاليين ومزاجيين. "

فأشارت كلير بنبرة جافة :

"ولا سيما إن كن ممثلات جميلات..."

التفت إليها وقد التمعت التسلية في تظراته:

" يا لها من ملاحظة خبيثة! "

فازداد التورد على وجهها .ترى ، هل اكتشف نبرة غيرة في صوتها؟ لو فعل، فلن تسامح نفسها أبداً.

وأضاف دنزل بجفاء:

" علي أن أقر أن تجربة الوقوف من الجهة الاخرى للكاميراجديدة.لكن ،لا أريد لذكرياتي المثيرة للشفقه

أن تصيبك بالملل. فما من كلام يضجر أكثر من ذكريات إنسان آخر"

فطمأنته بكلمات عنتها فعلاً:

" لكنك لا تشعرني بالملل! "

وكشف ملامح وجهه عن سخرية وهو يقول :

" لا أريد إخبارك بالمزيد، حرصاً على صورتي. "

ثم توقف وهو يعبس ،قبل أن يضيف بلهجة فظة :

" أردت أن أؤذي عمتي. لقد تملكني الغضب حين رأيتها بهذه السعادة والرضى عن نفسها وعن صبيانها.

وظللت أتذكر أعياد الميلاد التي مرت بي ، أنا الذي لطالما بقيت غريباً في ذلك المنزل، أنا الذي لطالما تجاهلوني أو ضايقوني... وشعرت بموجة عاتيه من الغضب ، فهتفت بالحقيقة في وجهها, وكنت في تلك المرحلة من المراهقة حين يبدأ المرء بالثورة ،وبررت

لنفسي قولي الحقيقة. وبالطبع لم تصدق كلامي، أو على الأقل لم تقره.وبدأت تصرخ بدورها...وفجأة ،أخذت تختنق وهي تقبض عى صدرها. ومالبثت أن ترنحت ، وتهالكت على الكرسي. فخفت ، وما كان مني إلا أن انحنيت نحوها لأسألها إن كانت بخير. لكنها ضربتني ،لتكون هذه ضربتها الأخيرة. "

ورفع رأسه مجدداً، ونظر الى كلير وهو شاحب الوجه،ثم قال:

" آخر مافعلته هو ضربي، ومن ثم ، لفظت أنفاسها الآخيرة، من غير أن أحاول مساعدتها. "

وشعرت كلير برغبة قوية في إحاطته بذراعيها. ولكن خوفاً من ذلك ، شدت من قبضتها على يديه وعلقت:

" لا بد أنك خفت كثيراً. فقد كنت كجرد مراهق يشعر بالذنب... وأظن أنك لم تدرك ما لعمل ، أليس كذلك؟ "

" في الواقع، لم تكن لدي أدنى فكرة .ففي لحظة ، كانت تصدر هذه الجلبة الرهيبة ، لتتوقف عن التنفس في اللحظة التالية. "

ونظر الى كلير بثبات ، وعيناه شديدتا السواد ، قبل أن يضيف :

" لم أحاول أن أساعدها حتى ، وهذا ما لا يمكن أن أنساه أبداً. بل وقفت هناك، أحدق فيها، وكأن عقارب الزمن قد توقفت .وأظن أن نفسها الأخير قد أحالني ...لا أدري ...خدراً.وبدا لي غريباً، ان يكون آخر ما أقدمت عليه هو ضربي. "

فتمتمت بنعومه:

" كنت في حالة من الصدمة "

" أظن ذلك .وكل ما أعرفه أنني وقفت ، فاغر الفم، ومن ثم ، تملكني الرعب الشديد .ولم أحاول أن أقوم بالإسعافات الأولية، بل اكتفيت بالهرولة والاتصال بسيارة إسعاف.وأخيراً جاء الطبيب، وأخبرني أنها ماتت في الحال ، لكني لم أتأكد قط من صحة كلامه.

"

" كنت مجرد طفل يا دنزل! ولا عجب إن انتابك الرعب الشديد. "

" لست أدري.ربما ، إن فعلت شيئاً... كالتنفس الاصطناعي مثلاً، أو محاولة انعاش قلبها مجدداً، لكانت نجت من الموت. لكنني لن أعرف ذلك أبداً. "

وشعرت كلير برغبة في البكاء .فعيناه أشبه ببئر عميقة، مظلمة من الألم ، ومالبثت أن همست :

" وقد لازمك الشعور بالذنب منذ ذلك الوقت "

ابتسم ابتسامة ملتويه وقال:

" منذ ذلك اليوم ، وأنا أحاول أن أنساها. لكنك محقة، فقد شعرت بالذنب فعلاً. وحري بي ذلك. لقد منحتني مأوى حين لم تكن مضطرة لذلك ، ولم تكن هي من أساء معاملتي، بل أبناؤها. وهم الان، بالمناسبة، أعضاء في المجتمع يحظون بالاحترام على ما أظن. ولسوء حظي كانوا في تلك المرحلة القاتلة من المراهقة حين ظهرت بينهم. فأنت تعرفين أن المراهقين يمرون بمرحلة يخيفون فيها غيرهم من الأطفال، لمجرد التسلية. ولا يمكنني أن ألوم عمتي على ذلك، كما لا يمكنني أن أحملها ذنب العوشاطف التي لم تظهرها لي، لا سيما أن لها أربعة أبناء من لحمها ودمها "

ولبرهة ،ساد بينهما الصمت ، قبل أن تساله كلير :

" وماذا حدث بعد موت عمتك؟ "

" في ذلك الوقت، كان أبي قد مات بدوره ، أو ضاع في البحر قبل سنتين ، فيما كان يعمل ضمن طاقم سفينه. أظن أنه قفز من على متن السفينه حين كان ثملاً .لكن موته اعتبر حادثاً، رسمياً. "

" وماذا عن والدتك؟ "

" الله وحده يعرف مكانها. ومن يدري ؟ لعلها ميته أيضاً، ولكن قلما أهتم.فقد اختفت منذ كنت في الثانية من عمري ، ولم يرها أحد أو يسمع عنها منذ ذلك الوقت. وبالطبع، ورث أبناء عمتي كل ممتلكات أمهم، ومن ضمنها المنزل ، وبعض الاغراض الخاصة.وباعوا البيت ، ثم وزعوا الأموال في ما بينهم ، وإذا بي أجد نفسي من غير مأوى. "

وأجفلت كلير وهي تسمع الكآبة في صوته. لقد فسر لها حديثه الكثير عن شخصيته، وعن كل مأ احست به منذ التقت به . لقد أحست حينها أنه رجل انطوائي ، بعيد عن الدفء الانساني، وكأنه يراقب حياة الاخرين من شبابيك مضيئة، فيما هو واقف في الخارج ، في الظلام. نعم، لطالما كان دنزل دخيلاً وما لبثت أن سألته برفق:

" إذاً ،ماذا حدث لك بعدئذ؟ "

وإذا بوميض من التسلية الباردة يلمع في عينيه وهو يجيب:

" صادفني الحظ للمرة الاولى.. على فكرة ، لي نظريتي الخاصة في الحياة والكون وكل مايحيط بنا، وتستطيعين القول إنني أؤمن بالتوازن .فإن عانيت من الحظ السيء مرات عدة، ستدور عجلة الحظ عاجلاً أم

أجلاً. يمكنك ان تسمي ذلك ماشئت: العناية الإلهية، أو التعويض، أو غيرها..في يوما ما ،سيبتسم لك الحظ. كانت حياتي غاية في التعاسة، الى أن أصبحت راشداً تقريباً. ولكن منذ اليوم الذي قضت فيه عمتي ،تبدلت مسيرة حياتي. فقد عرضت علي إحدى معلماتي منزلاً حتى بلغت الثامنه عشرة . وكانت مختلفة جداً عن عمتي .ومع أن لها أطفالاُ أيضاً، إلا أنهم كبروا جميعاً ،وانتقلوا للعيش بعيداً عن المنزل. لذا تحب هي وزوجها أن يستقلا الشبان في بيتهما. "

وتغير وجهه ، فأضحى أكثر نعومه ودفئاً، مما بدل مظهره كله.

وعلقت كلير بتردد:

" يبدو الي أنهما رائعان "

فابتسم :

" فعلاً .لقد أنعم الله على آل داريل بعقل منفتح، وقلب نابض بالحياه.وما زالا على تلك الحال، رغم تجاوزهما السبعين من عمرهما الآن. وقد تبدلت حياتي منذ انتقلت للعيش معهما ، فالتحقت بالجامعه، حيث تابعت دروساً في التصوير. ومن هنا بدأت أهتم بمهنتي العتيدة .وما زلت أزورهما من وقت الى اخر، ولم أقطع علاقتي بهما ابداً "

" وماذا عن أبناء عمتك؟ "

فاحتدت ملامح وجهه مجدداً، ثم أجابها:

" لم أرهم قط "

ثم توقف قليلاً قبل أن يضيف:

" أحاول ألا أفكر فيهم أيضاً، ولم تعد هذه الكوابيس تنتابني كثيراً، الا إن كنت مرهقاً، أو أتعرض لضغط ، أو لمضايقة. فتعود الأحلام الى الحياة مجدداً. "

وفجأة ، احست كلير وكانها أصيبت بصدمة، وسرعان ما شحب وجهها، وشعرت بالسوء، وعرفت أنها لم تدرك الأمر حتى هذه اللحظة، فتمتمت :

" لقد...انتابك الكابوس الآن ، لأنني قيدتك الى السرير...هذا هو السبب ،أليس كذلك؟ "

فهز كتفيه بلا مبالاة، ولم يجب لكنه لم يكن مضطراً لذلك. وأدركت كلير ما اقترفته في حقه، بعد كل هذه الوحشية التي عامله بها أبناء عمته طيلة هذه الاعوام. فتلعثمت :

" أنا آسفة...آسفه جداً.لو عرفت ذلك ، لما كنت ...لمَ لم تخبرني ، بحق السماء، إنك تعاني رهاب الاحتجاز؟ لا شك أن هذه الليلة كانت أشبة بكابوس بالنسبة لك.."

ثم توقفت عن الكلام، وعضت على شفتها السفلى.

فضحك:

" هل كنت لتصدقينني؟ "

فتأوهت وأجابت :

" لا أظن "

وأخرجت المفتاح من جيب سترتها، ويدها ترتعش. بعد ذلك ،أضافت وقد انحبست انفاسها:

" استقم في جلستك وسأفك حزامك "

ولما فعل، كشف قميصه الاسود الحريري عن صدره.فبدت كلير من الانزعاج، ما تطلب منها دقيقة لنزع القفل .لكنها نجحت في النهاية، وحررته ، ثم تركت الحزام والسلسلة يسقطان أرضاً بجانب السرير.

تمطى وهو يتنهد ارتياحاً، وقال :

" أحمد الله على هذا ،لم يكن الوضع مريحاً ا لبتة "

فردت بصوت أجش:

" أنا آسفه، لم أقصد أن أوذيك، بل كنت أحاول فقط..."

عندئذ، أجاب بنبرة قاسية:

" أن تحمي أختك مني... أعرف. وأتوقع أن لوسي مضت في سبيلها الآن.متى يحين موعد إقلاع طائرتها؟ "

نظرت إليه نظرة غامضة مشككة من بين أهدابها. لعلها شعرت با لأسف نحوه، لا سيما بعد أن سمعت عن طفولته الرهيبة، لكنها لم تكن متأكدة من أنها تستطيع الوثوق به. ولن تتفاجأ إن خذ بثأره منها، لكنها على استعداد للهرب، ان حاول ان يمسك بها. لكنه لم يقدم إلى الآن على أي حركة تهددها .

ومالبثت أن قالت:

" تعلم أنني قمت بالعمل الصحيح! فهي تحب مايك فعلاً، وستكون سعيدة معه "

" لست بحاجة الى تبرير نفسك أمامي. فقد تلاعبت بحياة لوسي وليس بحياتي. "

ازداد احمرار وجهها ، وعاد نفاذ صبرها إلى الظهور:

" هيا، أقر بالامر. لم تكن تملك أدنى فرصة في التمثيل ،أليس كذلك؟ "

هز كتفيه من غير اهتمام ، ونظر إليها مجدداً وقال بتهكم:

" أشك في ذلك، صحيح أنها جميلة، وأنها تبدو فاتنة أمام الكاميرا، لكنني متأكد من أنها لا تستطيع التمثيل ، بما إنني سبق وعملت معها في المهرجان . وقد راقبتها وهي تحاول أن تعلم الأطفال التمثيل ، وأخشى أنها تبدو خرقاء تماماً. "

" أعرف . وأذكر أيام مسرحيات المدرسة ، حيث كانت تبدو جميلة، وتتلفظ بنصها بوضوح، لكنها...في الواقع، لم تكن على هذا القدر من البراعة. "

فأجاب دنزل :

" إنها لا تملك من الخيال ما يمكنها من أن تصبح ممثلة. فهي سعيدة بنفسها لدرجة تمنعها من البحث عن شخصية أخرى. والممثلات الماهرات بحاجة إلى هذ . وغالباً ما تجدين أنهن يعانين من شكوك ذاتيه، ويحتجن بيأس لنوع من الإطمئنان "

" لمَ اقترحت عليها الخضوع لتجربة، إن كنت تدرك عدم كفاءتها؟ "

" لم تكن سعيدة، وقد فرغت مني الاصوات المتعاطفة التي أصدرها حين تتحدث عن مشاكلها. وارتأيت أنه

من الممتع لها أن تخضع لهذه التجربة، فقد تشغلها عن الصعوبات التي تعانيها ليوم أو اثنين. وان كان وجهها مناسباً للتصوير كما أظن، قد تشكل فسيفساء جميلة في مجموعتي . "

فردت بهدوء، وقد علا الاحمرار وجهها :

"فسيفساء في مجموعتك.."

نظر اليها بجفاء، وقد لاحظ نبرة صوتها، فتوسع شرحاً:

" أعني الصورة النهائية التي أحاول أن أركبها. فلا بد أنك استنتجت من الرسوم التخطيطية التي سبق ورأيتها، أني أعتبر كل مسرحية رسماً معيناً.ولوسي جميلة طبعاً "

كانت كلير تتنفس بسرعة ، وقد انقبضت يداها. مما دفعه الى النظر اليها بتفكير عميق:

"ها أنت غاضبة مجدداً!"

" كدت تقضي على حياة لوسي ، ثم تتحدث عن قطعة من الفسيفساء، فكيف تتوقع مني ألا أغضب ؟ "

ومالبثت أن تذكرت ما أخبرها به عن طفولته، عن الكلام، وهي تعض شفتها، ثم قالت على نحو نزق:

" أظن أنك لا تستطيع ألان أن تتلاعب بحياة الآخرين، فأنت لم تتعلم قط أن تهتم بغيرك من الناس"

" لا تبدأي بهذه الثرثرة التحليلية يا كلير! فأنا أهتم فعلاً بغيري من الناس، والا لما شعرت بالاسف على حال لوسي. لقد عرفت أنها تعيسة ، لأنها قصت علي مشاكلها. وبقيت لساعات متتالية تخبرني عن مايك وزواجها ، وكل العناء الذي تتكبده في المدرسة، وعنك وعن عائلتك. أنا اكتفيت بالاصغاء اليها،

وهذا كل ما أرادته مني. كل ما أرادته هو أن تتكلم من غير ان تتلقى أوامر."

فردت كلير بمزيج من الحدة والغضب:

" أتسخر مني؟ "

" في الواقع حاولت أن تديري حياتها، اليس كذلك؟وقد أثبت ذلك حين أرسلتها على طائرة لتلحق بخطيبها، من غير أن تدرسي الوضع جيداً. كما لجأت إلى أساليب ضخمة كي تنقذي وجههة نظرك، حتى ولو كانت تقضي بربطي بسلسلة لساعات كالكلب. "

" سبق وقلت إنني آسفة. "

فسألها ،والظلام في عينيه يدق ناقوس الخطر في رأسها :

" وهل أنت آسفة لأنك أفقدتني عقلي أيضاً؟ "

وما كان منها إلا أن نهضت عن السرير ، وهتفت :

" علي أن أمضي الى العمل..."

لكنها لم تتمكن من أن تخطو خطوة واحدة. فقد قبضت يدا دتزل على خصرها ، وجذبتاها مجدداً الى السرير. حاولت أن تخلص نفسها، لكنها لم تنجح الا في الميل نحوه بعجز، مما دفعها الى إطلاق صرخة رعب.

أما دنزل ، فأحاطها بذراعه.وصدمها الإحساس الذي تملكها ، ما إن شعرت به قربها.

إلا انها ما لبثت أن قالت :

"سأقتلك..."

قاطعها وهو ينظر اليها من خلال أهداب تكاد تنسدل ، ويبتسم تلك الابتسامه المعذبة:

" حقاً؟ عادة ، لا أصدق تهديداً كهذا، إن صدر عن معظم النساء، لكنك امرأة غير عادية. وأظنني عرفت ذلك منذ التقيتك للمرة الاولى . قد انتابني إحساس غريب حين نظرت اليك. أنت متقدة العاطفة يا كلير، ولطالما ظننت أن الجليد وحده يملأ شراييناك . لكن يا إلهي ، كنت مخطئاً ، اليس كذلك؟"

ودنا منها ، فراح قلبها يخفق بعنف، حتى عجزت عن التنفس . القرب منه عذاب حقيقي. أنها تحبه بشدة وتشعر بأنها تكاد تجن . لكنها لم ترد أي علاقة به، وهي تدرك تماماً أنه لا يحبها، بل أثارته ذكرى الليلة الماضية ليس إلا. ومع انه عانقها بشغف أوهنها، ظلت هذه الافكار تساورها.وهي تعرف قدرة دنزل على الاغواء، فقد راقبته، وهو يمارس ألاعيبه مع غيرها من النساء...مع هيلين...ومع أختها. لكنه لن

يمارس أي لعبة معها. فتذمرت ،وحاولت أن تناضل أو أن تضربه ليبتعد عنها ويطلق سراحها .

" لن أفعل ذلك. والان ، دعني ارحل ...فأنا لا أريدك... "

لم يتحرك من مكانه ، بل أخفض بصره الى وجهها المتورد وعينيها القلقتين، وفمها المرتجف، قبل أن يهمس: "كاذبة. هل تظنين أنني عاجز عن اكتشاف ما يجري في داخلك؟ هل تظنين أنني نسيت كيف عذبتني الليلة الماضية؟ "

ثم أمسك بيدها وجذبها نحوه، وسجنها بين ذراعيه، وراح يستمع الى وقع تنفسها العنيف، ويراقب التوهج القرمزي على وجهها .

" لاتفعل! "

وسألها بصوت أجش أجفلها :

" هل تعتقدين فعلاً أن بإمكانك دفعي الى حد الجنون ، ثم الاكتفاء بالرحيل، وتركي طيلة الليل أسير الاحباط؟ "

" لم ...لم أقصد... أن أثيرك... بل لم اقصد أن ألمسك على الاطلاق..."

" لكنك فعلت يا كلير، سواء إدعيت بأنك تقصدين ذلك أم لا! "

" توقف عن الحديث عن الامس! لقد فقدت عقلي، وقد أصبت بقليل من الجنون لكني لم أقصد شيئاً... ولن يتكرر ذلك أبداً، لذا دعني وشأني فعلي أن أمضي الى عملي، وعلي أن أدير وكالتي . وإن لم أفتح بابها ،فستقلق عائلتي وتبدأ بالبحث عني . ولا شك في أنهم سيأتون الى هنا ! "

تحرك دنزل وكأنه سينهض. فما كان منها إلا أن أنتظرت بترقب، وهي ترجو أن يكون متعقلاً، أملت أن تسنح لها الفرصة للهرب. لكنه اكتفى بمد يده الى الوسادة، وهو يتمتم:

" ليس بعد .ولعلهم لن يبدؤوا بالبحث قبل هذا المساء. ومازالت أمامنا ساعات قبل أن نتوقع تدخلاً ما "

فإذا به يمسك بذراعها الاخرى، ويلويها الى ما فوق رأسها.

وبعد ثانية ، تناهى اليها صوت معدني ، ثم طقطقة عالية، وما لبثت أن أحست ببرودة حول ذراعها. فحملقت فيه وكأنها غير مصدقة. ولم تنجل أمامها الحقيقة إلا بعد دقيقة.

لقد قيدها بمعصمه!

# 8- من اللأقوى؟

لبرهة نزل الرعب في قلب كلير، ومالبثت أن استبدت بها ردة فعلٍ تماثل الصاروخ اندفاعاً. فصرخت في وجهه :

" انزع هذه عني ! "

قهقه وسألها :

" ترى ، أين سمعت هذه الجملة قبلاً؟ "

حدقت فيه، وقد استحال وجهها قرمزياً:

" هذه الحالة مختلفة، فقد شرحت لك لماذا اضطررت الى ..آه لا تتصرف بهذه الحماقة، فرد الضربة بضربة عمل سخيف . أعطني المفتاح قبل أن أفقد أعصابي "

وعوضاً من أن ينفذ طلبها، رفع المفتاح أمام عينيها ،وهو يبتسم ، فيما فاضت عيناه الرماديتان بوميض من السخرية. ولما مدت يدها لتتسلمه، رمى به الى اقصى الغرفة.فارتطم بالباب ، ثم ارتد عنه، وانزلق تحت الأدراج قرب الحائط.

فانتفضت كلير من الغيظ، ثم أطلقت صرخة عكست غضبها الشديد :

" آه، أنت رجل غبيّ "

حاولت أن تقفز عن السرير ، عساها تبلغ المفتاح، لكن دنزل كان أشبه بجبل لا يتحرك فلا هي تستطيع أن تنهض من دونه، ولا بمقدورها أن تحركه. أما هو،

فبقي مستلقياً ،يحدق فيها برقة، وهي تشد بيدها بعيداً عنه بلا جدوى.

وأخيراً نصحها :

" ستؤذين نفسك، ان استمريت في ذلك "

" آه، أصمت! "

" كما أنك لن تصلي إلى أي مكان ، من دوني على أي حال. وبما إنه لا نية لي في التحرك، وبما إنني سألازم مكاني هذا ، فستبقين هنا أيضاً. "

وما كان من كلير إلا أن جلست على حافة السرير ، بمزيج من الغيظ واللهاث، وأدارت له ظهرها ، وهي تحاول أن تفكر في ما يمكنها أن تفعله. كان عليها أن تتوقع تصرفاً كهذا. فكيف بلغ بها حد ترك القيود في متناول يده، هذا عدا عن ذكر المفاتيح؟

كانت تتوق فعلاً الى الهروب ليلة أمس، لدرجة أنها اندفعت في تصرفاتها من دون تفكير . ومن الخطر ألا يقوم المرء بدراسة أي خطة من جوانبها كافة، لاسيما مع رجل كدنزل. فمن المؤكد أنه سيستغل كل خطأ ترتكبه، أو كل ثغرة تنساها. وبدأت يد دنزل تدنيها منه ، وتبعث الارتعاش فيها.

" لا تفعل ذلك! "

وما كان منه إلا أن جذب القيد فجأة، ففقدت توازنها. ولما انطرحت الى الخلف بعجز، سجن دنزل خصرها في ذراعه الطليقة.

فأطلقت كلير صرخة احتجاج ماتت فيها الكلمات ،ثم رفعت رأسها وقد اتسعت عيناها بتأثير الصدمة ، ونظرت الى الوجه المنحني فوقها.

وما لبث أن تمتم بنعومه:

" لا تقولي إنك خائفة. فأنت لا تخافين يا كلير! المرأة التي تلاعبت بي كما فعلت الليلة الماضية لا تخاف. صحيح أنني قلت لأختك لا تستطيع التمثيل أما أنت فتجيدينه. بحق السماء! بل أنا عاجز عن تعدد الادوار التي مثلتها أمامي! من المعبودة الباردة، الى امرأة الاعمال القوية، فالإبنه والأخت المحبة، ومدبرة المنزل الماهرة... أما ، ليلة الأمس..."

ثم توقف عن الكلام ليرمقها بنظرة جليدية ساخرة:

" ماهو الدور الذي كنت تمثلينه ليلة أمس على وجه التحديد يا كلير؟"

فابتلعت ريقها. وهنا ابتسم مجدداً بطريقة جمدت الدم في أوصالها.

" أم أنك لم تكوني تمثلين؟ "

وكادت عيناه الرماديتان تختفيان وراء رموشه في وميض زرع فيها الرعب.

ولما خيل إليها أنها ترى طريقاً للخلاص، قالت بوحي فجائي :

" بالطبع كنت أمثل !هذا ما كنت أفعله بالضبط، كنت.."

وجاهدت لتفكر في تفسير مقبول ، ثم أردفت أخيراً، من غير أن تكذب تماماً:

" كنت ألقنك درساً "

حينها، أقنعت نفسها بأنها تظهر له شعور المرء بالحجز.

وتابعت وهي ترمقه بنظرة مباشرة باردة :

" لم تسنح هذه الفرصة لضحاياك .لكن آن الأوان ليعلمك أحداً ما كيف يشعر المرء حين يتعرض للاستغلال والهجر! "

كان قد توقف عن الابتسام، واجتاح الغضب وجهه على نحو أفقدها رباطة جأشها، اذ ينذر دنزل بالخطر في غمرة غضبه، وما لبث أن رد بحدة:

" سبق وأخبرتك أنني لم أستغل أحداً! وتوقفي عن التحدث عن ضحاياي ، والا بدوت كقاتل محترف! "

فبادرت الى القول : "هيلين.."

" لقد شرحت لك قبلاً عن هيلين .فلم تفتحين الموضوع نفسه مجدداً؟ حين التقيت بها ، كانت تعاني من اليأس بعد طلاقها ، فتعلقت بي ، لأنني كنت غريباً لا أعرف زوجها .بل كنت مستمعاً جديداً، إذا شئت القول . وكان بامكانها أن تلقي بحملها كله

علي، وهي تدرك تماماً أنني لم أثير الاشاعات ، نظراً الى أنني بالكاد أعرف مخلوقاً في غرينهاوي. "

فأجابت بنبرة فاترة:

" أصدق كلامك، لكن ،إياك أن تخبرني أنك لم تلمسها قط! "

عندئذ، رمقها بنظرة جفاء وقال:

" إنها جميلة، وأعجبت فيها في البداية. لعلي عانقتها مرات عدة ، لكن من الصعب أن ترتبطي بأمرأة لا تكف الحديث عن زوجها ، ولم أتخطى حدودي مرة إن كان هذا ماتسألين عنه فعلاً "

لكن كلير لم تصدقه، وسرعان ما سألته بغضب:

" هل تعني أنها كذبت علي حين أخبرتني أنها مهووسه بك؟ "

فهز كتفيه بنزق:

" لا أدري ماذا أخبرتك. ولا أملك أدنى فكرة عن حقيقة مشاعرها حينها يا كلير. ولذا لا أستطيع الكلام إلا عن نفسي .فأنا لم أغرم بهيلين ، ولم ألمسها قط "

ولم تملك إلا أن تصدقه، فالسخط المصقول على وجهه بدا غاية في الاقناع، لاسيما حين أغلق عينيه بتنهد وأضاف :

" هل تريدين مني لائحة مفصلة بكل النساء اللواتي مررن بحياتي ، وبما فعلته بهن؟ "

فردت بحدة :

" كلا طبعاً. لكن ما من داع لتتفاجأ، اذا ظننت أنك من النوع المتلاعب ، فالامر لا يقتصر على هيلين وحسب.وماذا عن لوسي ، وتلك الممثلة التي لا أعرف اسمها..."

" عاشت بيلا حياة مأساوية ، لكن لا شأن لي بهذا. بل على العكس، منحتها الفرصة، غير مرة لتنتشل نفسها من الهاوية. كما عرضت عليها دوراً في فيلم ، أحالها الى نجمة كبيرة منذ الإطلالة الأولى . وجاهدت لأبعادها عن المخدرات ، لكن ، كيف للمرء أن يساعد أناساً لا يرغبون في تلقي المساعدة؟ كانت بيلا تكره نفسها، وتبغض الحياة ، ولطالما تمنت الموت . وبدت لي حياتها محطمة قبل أن ألتقي بها بوقت طويل.

"

والتفت إلى كلير بغضب، وأكمل :

" أخبرتك بكل هذا من قبل... "

فأومأت برأسها:

" أذكر ذلك،لكن.."

" لكنك لم تصدقيني؟ "

كان صوته عميقاً، قاسياً، لا سيما حين تابع :

" لا يمكنني أن أجبرك على تصديقي ، فعلي أن أتقبل هذا الواقع. "

ولما صعقها وجهه الغاضب ، وضعت يدها على كتفه ، بدافع غريزي وقالت :

" أنا آسفة ...وأصدقك فعلاً "

لكن الغضب لم يتلاش عن وجهه:

" إذاً، لمَ سألتني مجدداً؟ "

فعضت شفتها ، وقالت بنبرة تقارب النحيب:

" لست أدري...فقد توقفت عن التفكير بمنطقٍ "

عندها لوى فمه بعبوس وقال:

" أتعنين أنك تملكين فكرة ثابته عني، وأنني مهما شرحت لك خطأك، ستنظرين إلي دائماً كأنني نوع من

...ماذا دعوتني في المرة الماضية؟ مصاص دماء عاشق؟

"

فأجفلت كلير:

" نعم ، أنا آسفة. وأظنني أفكر في ذلك منذ التقيتك للمرة الاولى ، حين اصطحبتك وهيلين لرؤية البحيرة السوداء.في الواقع، ظننتها في البداية تتعاطى المخدرات ، فعيناها بدتا ناعستين ، ورغم ذلك ما انفكتا تلمعان .ومن ثم أدركت أنها متعلقة بك لا بالمخدرات، واستنتجت أنكما عاشقان . لكن هيلين لم تكن سعيدة .وعلى مر الأشهر المقبلة، ازدادت حالتها سوءاً.وبدا لي أنها تعلق عليك آمالاً كبيرة، وتزداد نحولاً ووهناً يوماً بعد يوم، إلى أن أغمي عليها في الشارع ذات مرة. "

" وألقيت اللوم علي مباشرة! "

فأجابت وقد احمر وجهها :

" في الحقيقة، فيمن عساي أفكر إذا ،وقد أعطتني هيلين نفسها انطباعاً أنها تعيسة بسببك؟ "

عندئذ رد دنزل بمرارة:

" كمعظم النساء، وجدت صعوبة في الاعتراف بالحقيقة، وهي أنها تريد استرجاع زوجها . لكنها ظنت أنه لم يعد يحبها، ومنعتها الكبرياء من الافصاح عن حبها. وقد تذرعت بي، واتخذتني عذراً عاطفياً.فان سألها أحداً لم تبدو كالاموات ، المحت الى انها مغرمة بي "

كان فمه قوياً، وكانه يمسك بزمام انفعاله.

" إن كان من تعرض للاستغلال ، فهو أنا ! وقبل أن تخوضي في موضوع أختك ، أذكرك أنني لم ألمسها بإصبع قط! "

ردت :

" ليس حتى الآن، على الاقل "

فأجابها بحدة:

" هل تتهمينني فعلاً بملاحقة هذه الدمية الصغيرة الجميلة ؟ لاشك في أنك مجنونه ، فالمرأة التي ألاحقها منذ جئت الى غرينهاوي هي أنت! "

وأوشك نفسها على الانقطاع، فحدقت فيه، وهي تهز وجهها الشاحب ، وتقول:

" لم تكن تلاحقني! "

" حاولت ذلك ، لكن كلما ظهرت ، صفقت الباب في وجهي. ولمدة ، ظللت أرفض الإستسلام ، فاتصلت بك ، وحضرت الى مكتبك ، وحاولت أن أواعدك. ومن ثم أخبرتني أنك على علاقة جدية برجل آخر. "

أجفلت ، ثم تذكرت ما أخبرته به ، فتورد وجهها مجدداً وقالت :

"آه ، أنت تقصد جوني..."

فنظر في عينيها بحدة يقظة:

" نعم ، جوني بريتشارد. لم أعرف من تعنين في البداية . وصادف أن سألت لوسي عن هوية صديقك جوني ، فأخبرتني مباشرة أنك تخرجين مع محامي، ثم ضحكت وقالت إنك تبدين مجنونة به، رغم أنه ممل جداً. وبالطبع ، وافقتها الرأي، بما أنني كنت أعرف بريتشارد. ولكن مامن معيار محدد للذوق، ومن النساء من يحب أغرب الرجال. "

دافعت كلير عنه بحدة:

" لجوني مميزات كثيرة ، فهو ساحر، وعاطفي ووسيم.."

ثم أضافت :

" كما أنه محب للحيوانات ولطيف مع أمه "

" نعم ، أعرف ، فقد قلت أنني التقيت به ، وبأمه أيضاً. وهي بالمناسبة قبيحة، وأشك في أنها قد تقبل بك. "

فما كان من كلير إلا أن رفعت ذقنها بانتصار:

" في الواقع ، إنها تحبني . وقد عرفتني طيلة حياتي، لكنها لم تحب زوجة جوني السابقة، وأظن انها ساعدت على فسخ علاقتهما.أما أنا، فلطالما أحبتني دائماً.كما إنني أحب جوني أيضاً "

لكنه علق ببرودة:

" لكنك كذبت حين أخبرتني أن العلاقة جادة فاتخذت موقفاً عدوانياً"

" ومن قال ذلك؟ "

" أنا! "

وما أن أتم كلامه ، حتى أمسكت يده الطليقة بذقنها ، وأرجعه الى الوراء ، فحاولت كلير أن تتحرر من قبضته ، لكنه أمسك بها بإحكام، وهو ينظر إلى عينيها الزرقاوين اللتين اتسعتا إنذاراً بالخطر.

وأضاف بنعومة ، فيما الدم الحار يجري في جسدها كله :

" ما كنت لتعانقيني كما فعلت الليلة الماضية ، لو أنك تحبين رجلاً آخر يا كلير"

" لا يمكنك التأكد من ذلك ! فقد قلت بنفسك إنني أجيد التمثيل. "

ضحك وعلق :

" لكن ماحصل أمس لم يكن تمثيلاً يا كلير "

فهتفت وفي صوتها شيء من اليأس:

" أنت لا تعرفني "

" بل أعرفك أكثر مما تظنين .فخلال كل تلك الاسابيع ، كنت أعمل مع أختك، وأتعلم عنك ما استطعت. بالطبع ، غالباً ما تتكلم لوسي عن نفسها ، لكن لا يسعها أن تذكر نفسها من دون أن تتطرق الى عائلتها بمن فيها أنت . وهكذا ، عرفت عنك الكثير، من الكتب التي تقرأينها، الى فطورك المفضل. "

ولمعت عيناه وهو يضيف :

"وأخبرتني أيضاً أنك شاهدت أفلامي مراراً تكراراً. "

فتوردت بشرتها ، وهي ترد :

" في الواقع، كنت أشعر بالفضول نحوك، لأنني خفت على...على لوسي، ففكرت في أن أفلامك ستنبئني عن نوعية الرجل الذي فيك، والى أي مدى أستطيع الوثوق فيك "

فتشدق في كلامه:

" وهل صدق ظنك؟ "

ردت بلهجة بعيدة:

" تعلمت الكثير. "

وراح يضايقها بنعومه خطفت النبض من قلبها لبرهة:

" وماذا تعلمت؟ وبالحديث عن ذلك، مارأيك بأفلامي؟ هل استمتعت بها، حينما أعدت مشاهدتها؟ "

فتلعثمت :

" إنها جيده جداً "

ثم سألها دنزل وأصابعه تتلاعب بخصلات شعرها :

" هل كانت حياتك العاطفيه مذهلة في الماضي؟ "

فردت وهي لا تستطيع أن تخفي غيرتها:

" أتعني كحياتك؟ "

وتابعت يده مسيرتها على وجهها برقة ، وهو يتمتم :

" لطالما أحتلت حياتي العاطفية المرتبة الثانية بعد عملي، يا كلير. لم أكن أملك الوقت الكافي لألتقي أحداً خارج نطاق عملي. وحين أقوم بإخراج فيلم ، ألتقي عادة بإمراة أعجب بها كثيراً، وأظن أنني سأقع في غرامها .لكن ما إن ينتهي الفيلم، حتى أنتقل إلى غيره، وهي كذلك، فتقل لقاءاتنا تدريجياً، وتنتهي العلاقة عاجلاً أمآجلاً. وهكذا هي الحال في مهنتنا "

ثم تابع :

" لم تجيبي عن سؤالي يا كلير. أخبريني عن حياتك العاطفية "

" لابد انك تعرف كل شيء عني من لوسي. "

ومافائدة الكذب الآن ؟فلا شك أن لوسي كانت صريحة في ما يتعلق بحياة أختها العاطفية المملة.

وما لبثت أن أقرت وهي تلاحظ ابتسامته :

" لم تكن مثيرية الى حد تخطف فيه العقول "

" وهذه هي حالي أيضاً، فبعد طفولتي ، منعني حذري من المجازفة. "

فتنهدت كلير:

" إن الحب مجازفة، أليس كذلك؟ أعرف ماذا تقصد فلقد وقعت في الحب مرة ، ثم جرحت جرحاً بليغاً "

فاحتدت عيناه:

" أكان الشاب الذي حاول التودد إليك ليلة الميلاد؟ "

فأومأت برأسها ، مما دفعه الى النتابعه بهدوء:

" إذاً، أغرمت به مرة "

" ظننت ذلك لمدة ، لكني أدركت أنني لم أبد نحو هال التزاماً حقيقياً.ففي ذلك الوقت ، كان علي أن أهتم بأولويات أخرى هي عائلتي، اي أخوتي ووالدي . كانوا

يحتاجون الي، أكثر من هال . وما كان علي أن أتفاجأ حين رحل مع امرأة أخرى ، فلا شك أنها منحته ما لم أفعله. وكل علاقة ترتكز على شخصين ويتوقع الناس أن يستردوا ما يمنحونه. وبما أنني لم أعط هال ما أراده ، فقد رحل بحثاً عن مبتغاه في مكان آخر.

بدا ثغر دنزل ملتوياً، واستحالت نظراته عنيفة ومتفهمة، وهو يقول :

" تبدين كإنسانة باردة يا كلير، وقد خدعتني لفترة لكن ، في الليلة الماضية ، أدركت أنك لست بالبرودة. التي تدعينها. "

فتجنبت نظراته وهي متوردة الوجه:

" في الواقع، أظن أن كلانا بارد. "

" انتظرت كل حياتي انساناً أستطيع الوثوق به.لكن ، بما أنني لم أكن أثق بأحد ، خاف الناس مني، مما

ضاعف شكي فيهم . ولم تبن علاقاتي على اسس متساوية قط.فإما أن الفتاه تخضع لي ، فأحتقرها ، وإما أنني استحيل صديق المرأة المفضل. ومع أنها تستغلني لتلقي علي بحمل مشاكلها ، الا أنها تعود وتحتقرني من جراء ذلك. "

أجابت كلير بنبرة جافة :

" يبدو لي إنك تعرف هيلين ولوسي جيداً .كما أنك تدعي معرفتي أيضاً "

وما كان منه الا ان ضحك على نحو فظ، وقال :

" أعتبر علاقتي بهيلين ولوسي نموذجاً واضحاً عن كل علاقاتي مع النساء حتى الان. ولطالما دفعني الفضول الى الرغبة في اكتشاف أفكار النساء... أحب أن أصغي إليهن فيما يتكلمن ، وأحب أن أدفعهن الى الحديث عن أنفسهن ، وعن مشاعرهن، وعن

طموحهن في الحياة.وبقيت أتمنى لو أستطيع التوغل في أذهانهن، عساي أفهم الواحدة منهن جيداً،لكن أمالي ذهبت أدراج الرياح.فلم أفهمهن قط كما فهمت الرجال. وأظن أن الرجال لا يفهمون النساء أبداً، فعقولنا غاية في الاختلاف"

فعلقت كلير بحدة ، وهي تدفع يده بعيداً عنها:

" يالهذا الهراء !وهلاّ توقفت عن العبث بشعري ؟ "

" لن تقولي لي ان الرجال والنساء متشابهون، أليس كذلك يا كلير؟ "

" كلا طبعاً، نحن مختلفون لكن... "

قاطعها، ووميض قاس في عينيه:

" في تلك الاشهر، فكرت فيك ، حتى أثرت حيرتي وقضيت وقتاً طويلاً، وأنا أحاول فك لغزك. لكني لم أحلم قط بكل هذا الشغف المسجون في قلبك.وحين.

بدأت تعانقينني ، فكرت في أنك أصبحت لي أخيراً. ولكن ، قبل أن أدرك ماذا يجري، رحلتِ، لتتركيني في حالة من اليأس.وهجرني النوم لساعات، أما الآن ،فستعوضينني عن كل هذا. "

ونظر في عينيها،وسألها :

" أنت تحبينني فعلاً، أليس كذلك يا كلير؟ "

" نعم "

نطقت بالحقيقة على الرغم منها، لا سيما أنه لم يترك لها مجالاً للكذب أو التظاهر، أو أخفاء المشاعر. قال :

" كلير...أظن أنني لن أفهمك أبداً. كل ما أعرفه هو أنك تجرين في دمي، ولا أستطيع التفكير في سواك. وبعد الليلة الماضية، قد أرتكب جريمة في مقابل ضمك بين ذراعي "

وفي هذه اللحظة بالذات ، شعرت بأنها تحلم ، كما حلمت عشية الميلاد، قبل أشهر ، وكما كانت تحلم طيلة حياتها بذلك الرجل الذي يقبل اليها من خلف ستار الليل ، ليحملها ويرحل بها.

وبتأوه حاد، تاقت الى أن يعانقها. وعندها فقد أدركت أنه عناقهما الحقيقي الأول.ففي الليلة الماضية ، بقيت تعذبه وترفض أن يدوم عناقهما أكثر من ثانيه. أما الآن، فدنزل هو المسيطر.

" يا إلهي ...كلير...أنا...أنا أحبك. "

أحست كلير بالدموع تحرق عينيها ، وعجزت عن الكلام . أما هو، فأخذ يهمس:

" أنا مجنون بك منذ مدة طويلة، منذ اليوم الأول...في مكتبك...كنت غاية في البرودة والخشونه، بل شقراء باردة في عينيها تهديداً صريح.فألقيت عليك نظرة،

وودت أن أعرف الى أي مدى يمكن للجليد أن يذوب "

فردت من غير أن تتفأجأ:

" أحقاً؟ "

ألم يكن هذا ماشكت فيه؟ فضحك وأجاب :

" نعم ، لقد أعجبت بك بشده منذ البداية، لكنني أغرمت بك عشية الميلاد، حين جئت الى منزلك ، ورأيتك نائمة في كرسي أمام النار...ثم فتحت عينيك، ونظرت الي بطريقة عصرت قلبي عصراً. وكان شعرك الجميل يغمر المكان، ووجهك متسخ متورد. وللمرة الأولى منذ عرفتك، بدوت لي إنسانة حقيقية تنبض بالحياة. وتملكني رغبة قوية في معانقتك، منعتني من النوم طيلة الليل، وأنا أفكر فيك "

عندئذ أجابت بصوت أجش:

" كنت أحلم بك "

فاتسعت عيناه، وتناهى اليها انحباس أنفاسه:

" كلير!ماذا حلمتِ؟ "

لم تشأ أن تعترف ، وقالت :

" لا أذكر ولكنني فتحت عيني حين فتح الباب، وأبصرتك أمامي.فلم أعرف أن كنت أحلم أم لا، إلا حين رأيت أبي ولوسي والآخرين وراءك في الرواق "

ولم تعتقد أن الوقت مناسب لتخبره تفاصيل حلمها ولعلها لن تخبره أبداً.

" ليتني عرفت...لكنآ وفرنا الكثير من الوقت الضائع. "

وحاولت كلير أن تحيطه بذراعيها ، ولكن القيد أفشل مرادها ، فسألته:

" ألا يمكننا أن ننزع القيد الآن "

فأشار عليها:

" سيتوجب علينا النهوض والبحث عن المفتاح "

وكرهت أن تقطع تلك اللحظة السعيدة التي تجمعهما

، وقالت :

" لننتظر قليلاً إذاً "

وبدأت يدها تداعب شعره وتنعم بدفء ملمسه

...وراحت تهمس له:

" أحبك...علمت أنني سأحبك منذ رأيتك.."

فعانقها بعنف، ثم قال:

" بل كرهتني منذ رأيتني يا كلير، وقد أوضحت ذلك

جيداً "

عندها ، اعترفت :

" بل كنت خائفة منك، خائفة من حبك، خائفة من

الألم. ولم أرد أن تسيطر علي "

فسألها ، وفي صوته تلهف خفي:

" وهل أسيطر عليك؟ "

اختلست كلير النظر اليه من تحت أهدابها. وعرفت أنه من غير الحكمة أن تخبره أنه يمارس عليها سلطة قوية ورهيبة . ومالبثت أن قالت:

" أحبك...ألا يكفيك هذا؟ "

وفكرت في أنه لن يعرف أبداً أن الحب هو القوة الوحيدة التي كانت تخشاها دوماً.

وأمسك دنزل بيدها الطليقة، وقبل راحتها بعمق وحرارة، وعيناه مغمضتان، وعلى وجهه عاطفة تواقة ، وقال :

" أنت تسيطرين علي كلير. وأنا لك بكاملي. ولو أن هذه لا تعد قوة ، فماذا يبقى؟. "

موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

قناة روايات عبير على تيليجرام

https://t.me/aabiirr

تمـــــــت